التُربي

رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى





لمياء السعيد



رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى

تأليف

لمياء السعيد

طبعة ٢٠١٦

السعيد، لمياء

الترِبي/رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى/ لمياء السعيد - ط ١.- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٥

٢٣٦ ص، ٢٠ سم

تدمك ٨ ٣٩٤ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

الكتاب : الترس
المؤلف : لمياء السعيد
الغلاف : أحمد الصباغ
الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م

٢٥ش وادى النيل - المهندسين - الجيزة
atlas@innovations-co.com
www.atlas-publishing.com
تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ - ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٠٢٧٩٦٥
فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى
عضو مجلس الإدارة والنشر
نوران المصرى
رقم الإيداع
٢٠١٥/٢١٥٥٥
الترقيم الدولى
٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٣٩٤-٨
الطبعة الأولى
طبعة ٢٠١٦



اهدي كتابي إلى الأستاذ/ حسام حسن المدير العام لدار اطلس.

فهو صاحب فكرة كتابي وقد دعمني وهو من شجعني على إكماله.

المقدمة

في كتابي، جمعت عدة تجارب من أصحاب هذه المهنة، قصوا لي عن عالمهم المليء بالأسرار والحكايات، بعضها حدثت معهم شخصيًا وعايشوها وبعضها سمعوا بها.

كلنا نحمل في قلوبنا شغفًا بالمعرفة عن عالم الموتى والمقابر، ماذا يحدث داخلها؟ ربما يكون ذلك محاولة منا لمعرفة ما سيئول إليه حالنا جميعًا يومًا ما.

أوانه حال الإنسان دائمًا، يحاول اكتشاف ما يجهله..

وهناك أشخاص تماسوا مع هذا العالم ويعلمون ما يحدث في مدينة الموتى فحكوا لي بعضًا منها..

ربما أصابوا وربما اخطأوا ولكنهم في النهاية بشر يعملون أرقى مهنة في التاريخ وهي حمل سوءاتنا، فجمعت خيوط روايتي ونسجتها بخيال الكاتب فكانت إجابة عن سؤالي، ماذا لو حدث ذلك فعلاً؟

وأتمنى أن تنال محاولتي إعجاب من يقرأها.

إيه ده، إيه اللي جابك هنا؟

أنا جاي آخد الجثة زي ما اتفقنا.

لا، احنا ما اتفقناش تاخدها، اطلع بره.

ما أنا باخد الوارد الجديد كله، تفرق إيه دي عن غيرها يعني، سيبني أشوف شغلي يا عم عادل، مالك النهاردة؟

قلت لك، لا، أنت مين قالك تيجي أصلاً يا سمير، امشي.

- بص بقى، أنا عرفت من الواد حودة إن في حتة جت وأنا محتاجها أوي وهزودك لو عاوز.

- لا دي مش للبيع.

- يا عم مش هاخدها كلها، أنا مزنوق بس في كام حتة منها وهسيبلك الجمجمة، أنا عارف إنك بتحتاجهم كتير عشان بتوع الكيف.

- لا، مش هتقرب منها، مش للبيع، بقولك متحطش إيدك

عليها

- خلاص يا عم عادل، نستلفها ونرجعهالك بعد كام يوم.

- لا يا سمير، اطلع بره لأدفنك جنبها.

- تدفن مين يا جدو، شكلك شارب حجرين وهيجوا على دماغك، هي أول مرة ولا إيه مالك؟!

- ملكش دعوة مالي، ابعد عنها وخلاص.

- طب، ابعد عني لأعورك.

- أمسك عادل بذراع سمير وجذبه بقوة.

- فدفع سمير عادل فاصطدم بحائط المقبرة بشكل مؤلم وأكمل سمير فك الكفن من حول الجثة ومحاولة رفعها على كتفه.

قام عادل سريعًا وامسك الفأس وضرب سمير على مؤخرة رأسه فأوقعه أرضًا وسمع صوت تألمه كمن يصارع الموت وجحظت

عيناه وفغر فاه على آخره وأخذ يتنفس بصعوبة شديدة وبصوت مرتفع أقرب إلى النهجان وكان روحه تغادر جسده ولكن سرعان ما صمت وانتشرت الدماء بالمقبرة، فقد لفظ أنفاسه وفارق الحياة.

وجلس عادل فوق جثة الفتاة، يبكي ويحاول إعادة تكفينها.

ولكن دخل حودة المساعد؛ لاستعجال سمير حتى لا يراه عادل، فقد اتفق حودة مع سمير على بيع الجثة بدون موافقة عادل ولا علمه، فوجده مضرجًا في دمائه وعادل جالس يبكي.

- إيه اللي حصل ياعم عادل، مين عمل كده؟

- أنا اللي قتلته.

- قتلته!!! يا نهار مش فايت، ليه كده؟

- ملكش دعوة، غور من وشي يا وش الفقر؛ لأقتلك أنت كمان.

- تقتلني، لا ياعم أنا خارج.

وقفـز علـى السـلم سـريعًا وتعالـت صرخاتـه حتـى خـرج خـارج المقبـرة واجتمـع أهـل المقابـر جميعًـا حولـه يتسـاءلون وهـو يصـرخ: عـادل اتجـنن وعـاوز يقتلنـي بعـد مـا قتـل سـمير فنزلـوا إلـى المقبـرة ليجـدوا سـمير فـارق الحيـاة وعـادل لـم يفـارق مكانـه بعـد.

يكفن الفتاة ويغسلها بدموعه مرة أخرى.

وصلـت الشـرطة واقتـادت عـادل التربـي العجـوز إلـى القسـم والطبيـب الشـرعي أخـذ الجثتـين، سـمير وتلـك الفتـاة المجهولـة والمدفونـة منـذ سـاعات.

بـدأت التحقيقـات وانهالـت علـى عـادل آلاف الأسـئلة، لمـاذا قتـل سـمير؟؟!

وماذا أتى بموظف الجامعة إلى المقابر ليلاً؟

ومن تلك الفتاة المدفونة؟

وأين تصريح دفنها؟

هل كنت تبيعه الجثث؟

هل اختلفتم على السمر وتشاجرتم فقتلته؟

هل هناك ما يخص هذه الفتاة وهدد سمير بفضحه؟

ولكنه لم يجب ولا كلمة، لم ينطق نهائيًا.

اثبت تقرير الطب الشرعي أن الفتاة ماتت إثر جرعة مفرطة من المخدرات وأنها لا تتجاوز التاسعة عشر من عمرها وليس لها تصريح دفن ولم يستدل على هويتها، فلا تحمل بطاقة ولا أي شيء يدل على شخصيتها ولكن العجيب في الأمر:

أنها كفنت شرعيًا ولم تدفن بملابسها كما هو الحال في تلك الحالات.

من اين جاءت؟

لا احد يعلم، وما الذي أتى بها إلى المقابر أصلاً؟

ومن أعطاها المخدر؟

أم أنها جاءت مخدرة؟

لا أحد يعلم....

وكشف ايضًا تقرير الطب الشرعي أنها لا تزال آنسة فليست متزوجة ولكن؟؟

آلاف الأسئلة تدور حولها...

وعادل صامت كمومياء عمرها ألف عام، لا يتحدث سوى بضع همهمات، آثر البكاء.

لم يجد القاضي بدًا من تخيل ما حدث، إنها جريمة بشعة، راح ضحيتها سمير والفتاة المجهولة والقاتل صامت كجبل أمامه فالتربي الذي اعتاد الموت وسكن بجواره ثلاثون عامًا، لا يستطيع الآن النظر إلى صور الضحيتين ولا يكف عن البكاء.

خيلته النيابة أنه مجرم عتيد ولا تغرنكم دموع التماسيح تلك وانها فقط لاستمالة قلوب القضاة لسؤالهم التخفيف عنه ولكن في حقيقة الأمر لم يكن عادل يبالي أويهتم بما يحدث، حتى أنه لم يكن يسمع ما يقولونه فعليًا ولكن بين الحين والآخر، يرن

بأذنه اسم يتداول في القاعة فيميرهم نظرة أوالتفاتة لا مبالية ولكنه يستطلع الوجوه من حوله. فهناك وجه يريد أن يراه حقًا ولكنه ليس موجودًا. فلا يبالي بمن حضر سواه ويتذكر ما حدث وتهمر دموعه فيفسرها وكيل النيابة مثلما يشاء، فهو لم يكن حاضرًا معهم سوى بجسده فقط، أما روحه في مكان ما ولا يحررها سوى دموعه.

سواء كانت دموع التماسيح أودموع الندم والحسرة، وفي كلتا الحالتين هو قاتل.

فحكم على عادل بالإعدام شنقًا.

ولم تجدِ توسلات أهله ولا محاميه للاعتراف أوحتى الحديث بكلمة واحدة لتبرير موقفه.

فقد استمات المحامي في الحديث إليه أن يتهم سمير بسرقة المقبرة، وانت فقط كنت تدافع عنها، فضربته، مما أفضى إلى موته.

أوانه من جاء بالفتاة المقتولة وانت دخلت وهو يدفنها، فحدث بينكم شجار، رفض كل ذلك.

أتعلم، لماذا رفضت يا ولدي؟

لأنه لم يعد لحياتي معنى أوجدوى، يجب أن أموت قريبًا حتى لا تتكاثر، سيأتي أكثر من ذلك، فقد فعلت الكثير مما أخجل منه ولكن لن أخجل منك يا ولدي....

سأملأ قلبك بتجاربي حتى لا تقع في أخطائي وتحذر من حولك، فالموتى قد يبدون صامتين جدًا ولكن هناك حيث مدينة الموتى، يحدث الكثير والكثير فإن أجدت الإنصات، ستجد ما يشيب له الولد في هذا العالم.

فوسط هذا الصمت، آلاف الحيوات والكثير من الخوف والألم وأشياء لو سمعتها لشاب شعر رأسك، ما بالك بمعايشتها يومًا بعد يوم، ففي مدينة الموتى، الجن جيران والأشباح أصحاب بيت والهلع والفزع هو سمة أيامنا فيكفي أننا نبدأ يومنا بمواكب الحزن والصرخات؛ ليحل علينا الليل وما إن تظلم الدنيا ويغلق الباب يبدأ العرض.....

لا أعرف إن كان الوقت سيكفي أم لا؟

ولا أعرف إن كنت ساستطيع أن أتذكر كل ما مر بي أم لا؟

ولكني ساحاول جاهداً، فسامحني إن عرفت شيئاً بعد موتي، لم أذكره لك فقد كان سهواً.

وقد تقابل أشياء، لم أحكِ لك عنها، فكل يوم في عالم الموتى جديد، لا تتعجب كلماتي فستعرف بالتجربة الكثير وستثبت لك السنوات صدقي.

وفي انتظار حكم موتي وموعده:

أكتب إليك يا ابني، مذكراتي ولكني أحب أن أسميها اعترافاتي، فبين طيات أوراق هذه المذكرات، ستجد الكثير من الاعترافات لأشياء فعلتها بحياتي، أخطاء سيقت إليّ في حياتي أوسعيت أنا لها، لا أعرف الإجابة الآن، فنحن نعيش في هذه الحياة مسيرين ومخيرين ويختلط علينا الأمر أوندعي ذلك لنبرر أخطائنا وظروفنا.

ولكن اليوم، أنا اقتربت من النهاية، ستقول لي: كيف عرفت ذلك؟

لا أستطيع أن أشرح لك ولكنه إحساس يتملكني، أعرفه

جهدًا واكاد أجزم به، ولكن لا أجد كلمات تشرح ما أشعر به الآن، ولكني أعرف وستعرف يومًا يا ابني هذا الشعور، ولكن لا أريد أن تصل له مثلي متقلاً بالهموم وتريد البوح والاعتراف؛ لذلك كتبت لك كلماتي لتجد فيها التجارب والعبر لتتفادى أخطائي وزلاتي، فأنت تعمل في نفس عملي وستجد تجاربي أمامك.

أتمنى أن تقفز فوق تلك الحفرات ولا تسقط بها، أخذت مهنتي عن أبي وأعطيتها لك ولا أعلم هل هذا في صالحك أم لا؟؟

ولكن رغم غرابتها، فنحن أناس اختارنا الله؛ لنقوم بها.



(اعترافات تربي)

المتمرد:

أعرفكم بنفسي:

اسمي: عادل.

أعمل تربي، لم يكن ذلك اختياري، ولكنني منذ أن صرخت صرختي الأولى بهذا العالم وأمي تلدني، لم تلدني في مشفى ولا بيت جميل يطل حتى على شارع في حارة أوزقاق ولكن ولدتني على قبر وكأني ولدت لأعيش الموت، ففي قلب الموت ولدت أنا، ميت يصرخ فوق شاهد ضريح، كنت أنا الولد الوحيد بعد فتاتين، فكنت بالنسبة لعائلتي، حامل الشعلة وولي العهد، من سيحمل المهنة بعد أبي؟ الذي يعمل تربيًا أبًا عن جد.

في أول أيامي، لم أكن أعرف عن عالمي ومستقبلي الكثير، طفل يحبو في عالم الموتى، مثلي مثل كل أبناء المهنة، نعيش في صمت القبور، يأتينا الزوار متشحي السواد، يسكنهم الألم على من تركوهم في رعايتنا، لم يكن يقام في منطقتنا فرح، ولكن تأتي إلينا دائمًا مواكب الأحزان، بين صريخ وعويل وبحزن يشق القلب، حتى تلك المواكب الصامتة التي يوصلها أهاليها

إلينـا كأنمـا ارتاحـوا مـن هـم يثقـل صدورهـم، لـم تكـن البهجـة تعلـو وجوهـم، ولكـن هـو حـزن ووجـوه واجمـة، أعتقـد أنهـا مـن بـاب الحياء واحترام الراحل حتـى وإن كان رحيله قمـة بهجتهـم، يبخلـون علينـا بتلـك البهجـة فيدفنونهـا في صدورهـم ويمطونـا نحـن الراحل لندفنـه في أرضنـا وهنـاك المواكب الحـارة التـي تشـق القلـوب مـن الفـزع القـادم مـن صـوت النسـوة وصـراخهم وعويلهم، حتـى الرجـال منهـم يبكـون ولكـن في كل الأحـوال، نحـن مسـتعدون لمواكب الحـزن؛ لتضيـف إلينـا زائـر صامـت جديـد وبعـض الفـروش التـي تعيلنـا، فنحـن نـرزق مـن فـوادح النـاس وفي سـبيل ذلـك نقـوم بواجبنـا، فأمـي دائمًـا متشـحة بالسـواد وكذلـك جدتـي، ولكـن دور جدتـي يختلـف، فقـد كانـت تعمـل مـع جـدي في دفـن الموتـى، لـم تكـن تقـوم بالدفـن ولكـن كانـت لهـا مهنـة تدعـى (المعـددة) وهـي عبـارة عـن امـرأة تصيـغ النـواح في جمـل لهـا قافيـة، تحفظهـا عـن ظهـر قلـب، فكثـرة الحـزن تعلـم البـكا، وتعـدد علـى الفقيـد؛ لتحفيـز النسـاء علـى البـكاء واللطـم وإظهـار الحـزن، وكان لهـا أجـر نظيـر ذلـك، عندمـا كبـرت، تعجبـت مـن عملهـا ومـن طبيعـة البشـر، يدفعـون لسـيدة أمـوال مقابـل أن تزيـد مـن حزنهـم علـى أحبتهـم.

وكان أبي يساعد جدي بنفس راضية. لم يعرف الخوف لقلوبنا يومًا طريق، فنحن من يسكن أرض الخوف.

كبرت، وصرت شابًا في الإعدادية وأصر والدي على تعليمي خلافًا لأخواتي. فقد كانا بالمنزل لم يخرجا من المقابر إلا بصحبة أمي لشراء مستلزمات لهم كل بضعة أعوام. فلا أذكر أن رأيتهم خارج إلا بضعة مرات، حتى لم تكد أي منهن تصل السادسة عشر إلا وخرجت مع أمي لتشتري لها مستلزمات عرسها، فهي ستنتقل إلى حوش آخر ليس إلا لتبدأ شكل أخر من الحياة، فيحضرون لها بضع ملابس ملونة والكثير من الملابس السوداء؛ لتتشح به حتى دون حزن، حتى ذلك الشبه، حفل المفروض أن يطلقوا عليه عرس، لم يكن حفلاً ولا عرسًا فالعروس تلبس الأبيض ومن حولها الفتيات التي يقارينها في السن يلبسن الألوان المبهجة ليحالفهن الحظ؛ لينتقلن لحوش أخر والأطفال فرحين باللون الأبيض المزركش، فهم يرون الأبيض في لون الأكفان ولكن لهذا الأبيض بريق أخر، وجميع المعازيم من النساء يتشحن بالسواد، ولا توجد موسيقى احترامًا للمكان، فقط بضع أغانٍ تطلقها المواجير، فمن تعمل معددة هي من تقوم بالغناء، فيختلط عليك الأمر في لحظة،

أي النشيدين تقول، وبضع نقرات على طشت نحاس وتصفيق، وأحيانًا تطلق إحداهن زغرودة تشبه الصريخ حتى الفرح. هنا يحمل سمات مواكب الموتى وكثيرًا سألت نفسي: لماذا في بداية حياتنا ونهايتها نرتدي الأبيض؟ وبين ذلك نتشح بالسواد؟! ولكن أنا من كان يخرج كل يوم لمدرسته الإعدادية، فأبي أراد لي أن أرى الحياة بعيدًا ولو لبعض الوقت، فهو حرم من ذلك، فقط أحضر أمي من حوش أخر وأنجبنا، لم يكن في حياته الكثير، فقط نحن والموتى، وغادر جدي حجرات بيتنا؛ ليسكن الحجرات التي تحتها، ولحقت به جدتي، لم أشعر أنهم فارقونا ورغم بكاء أمي وأبي، أنا لم أذرف دمعة واحدة، فلم أشعر بغيابهم، فهم مازالوا في أرض الموت، فنحن الدخلاء عليهم، هي أرضهم، لا يجب أن يسكنها الأحياء، وكثيرًا سألت أبي: لماذا نعيش هنا؟

لماذا لا نعيش بأي مكان، وتحضر هنا صباحًا مثلاً، وتذهب أخر النهار لبيتك؟

مثل باقي آباء زملائي، يذهبون للعمل صباحًا بالمصانع والوظائف ويعودون ليلاً؟

قال لي: يا ولدي نحن حراس المكان؟

قلت له صارخًا: هم أموات، مما سنحرصهم؟

هل سيسرقون؟

قال: يا ولدي، أنت صغير، لا تفهم، نحن من يحمل الأمانة، شغلتنا دي نعمة كبيرة، بكرة تفهم قيمتها.

كان أبي راضيًا بشكل غريب، وكنت أنا متمردًا بشكل يتجاوز الحدود، ولكن دائمًا كان يذوب تمردي في رضائه ولمسته الحانية وقلبه الذي يحتوي الكون كله.

تخرجت من الإعدادية بمجموع صغير ألحقني بالدبلوم الفني الصناعي بسهولة، وانتقلت إلى مكان أبعد عن مقبرتي، لم أكن أقول لأحد مهنة أبي لأنه كلما أخبرت أحدهم أن أبي تربي، أصابة التشاؤم واستعاذ بالله مني وكأنني شيطان رجيم أو أبي إبليس، ومن يزيد الأمر ويقول: فالكم في داركم، وكلمات كثيرة تهين ما تبقى من كرامتي، لا أعلم لماذا!؟

فكل الناس يموتون ولولا وجود مهنة أبي وأمثاله، لألقى

بهم أهاليهم بالطرقات أوحرقوهم مثلما يفعل سكان الغرب. ولكننا نكرمهم وندفنهم دفنًا شرعيًا كما يقول أبي دائمًا لي. ولكن لا أحد يقدر ذلك، ولكن تجد من شبابهم استهزاء بي، ومن كبارهم اشمئزازًا مني، وبعضهم يقاطعني حتى لا يريد أن يسلم عليّ، ومنهم من يعاملني بقرف شديد، وكأنني جرثومة ما.

عندما كنت صغيرًا، كنت أرد عليهم وأقول لهم: ستأتون إليّ وسأدفنكم بيدي هذه التي لا تريدون أن تسلموا عليها، ولكن عندما كبرت آثرت عدم إبلاغ أحد بمهنة أبي، فهذه المهنة ستنتهي بعد موته، ولن أعمل بها، سأخرج من أرض الموتى بلا رجعة.

في العام الثاني الثانوي، حدثت أزمة الإسكان ووفد إلى أرضنا آلاف الأسر، ظهرت في أوائل الأمر على استحياء، فمنهم من ضاقت به دنيا الأحياء، فلم يجد خرم إبرة كما يقولون للسكن فيه، فحمل أغراضه وجاء يسكن بجوار أهله ممن سبقوه إلى العالم الآخر، فرر أن يشاركهم سكنهم بعد أن كان لا يفكر في زيارتهم للدعاء حتى أوزرع شجرة، ويكتفي

بإرسال الشهرية للتربي إن أرسلها، ولا يتذكر إلا عند قدومه مع وافد جديد. اغلبهم كان ياتي وحيدًا أومع زوجته وأولاده، ولكن سرعان ما يهجروه ويضيقون ذرعًا بتلك الحياة، ويتملكهم الخوف والهلع من المكان، فترحل إلى غير رجعة ويظل وحيدًا بائسًا. هو والأموات واحد. إما أن يلحق بهم أوينتحر يأسًا من حياته، ومنهم من يختلط بالجو فينسى حياته السابقة ويختلط بأهل المقابر، فيتزوج واحدة منهم، ويصبح من سكان الأرض وحتى إن بعضهم يمتهن مهنة دفن الموتى ليتمايش مع الجو، وينجب أولادًا، تجدهم بين المقابر يتسولون الرحمة من زوار المكان، وكان ابي دائمًا يهزأ منهم، ويقول: هؤلاء دخلاء على مهنتنا يا ولدي، لك أن تفخر فنحن تُرَبِيَّة أبًا عن جد.

لا أدري سر الفخر؟

ولكني لم اكن اريد ان اقتل فرحته، فأسايره بابتسامة خفيفة تخفي ألمي وتضاعف حلمي ان اذهب بعيدًا.

انجبت أمي بعدي صبيًا اخر، ولكن ابي كان دائمًا يقول: إن عادل هو ولدي البكري ووريث مهنتي، وأن محمد جه

متأخر أوي، اللي هيربيه عادل مش أنا. أنا هلحق ابويا وأمي وعادل هو راجل البيت. حاولت أمي مرارًا وتكرارًا تزويجي ولكن بلا جدوى، لم أكن اريد ان اتزوج من أهل القبور حتى الوافدين الجدد، إما أنهم لا يريدون معاشرتنا لأنهم ينفرون منا ويعتبرون أنهم أفضل منا. فهم هنا لظروف قهرية ما إن تنتهي حتى يرجعوا لحياتهم أومنهم من أحب الحياة هنا وامتهن المهنة واصبحوا مثل أهل القبور. وأنا لا اريد أن اربط بها طوال عمري، واغلب الفتيات هنا لم يتعلمن ولا يعرفن الفرق بين الألف وكوز الذرة إلا قلة منهن، وهذه القلة مثلي تريد أن تمتد إليهم قشتهم من خارج الأرض لينقذونهن من هذه الحياة والبعض من الفتيات ما إن تجد أن أهلها عقدوا العزم على تزويجها من أقاربها حتى تذهب إلى غير رجعة، إما أن تكون قد احبت أحدهم وتزوجته أوأن تعمل بأي شيء، المهم الا تعود مرة أخرى، ويظل أهلها يحملون العار ولذلك كان أبي يرضي ضميره دائمًا بهذه الكلمات ويقول الحمد لله إني معلمتش البنات وكفاية عليَّ الصبيان عادل البكري ومحمد. لم يكن يعتبر محمد ابنه مثلي فأنا في منزلة متفردة ولكن يعتبره ابن لي وليس له.

وزاد عدد سكان القبور من الخارج حتى أصبحت من الأماكن التي يقال عليها عشوائية، فتبدل صمت الأرض ضجيجًا وتغيرت الحال ولكن لم يتغير حالنا فالظاهر اختلف ولكن الباطن كما هو، مع رحيل العجائز رحلت معهم مهنة المعددة وعلى استحياء دخل التلفاز قبورنا واحداً بعد الأخر. وتخرجت من الثانوية وأنا أشعر أن العالم كله ينتظرني وأن فرص العمل تنتظر مني فقط إشارة لأختار مثلما أريد ولكني كنت واهمًا وانضممت إلى صفوف التجنيد ودخلت إلى الجيش لأقضي فترة تجنيدي ومع أنها أخرتني عن خطتي ولكن كم كنت سعيداً في الجيش، فقد نمت لأول مرة خارج المقابر والأحواش، ومر العامان بمنتهى السرعة والسلاسة مع أن أبي كان يبكي لفراقي وأنا كنت أبكي في أجازاتي مع إني لم أساعده بعمله إلا قليلاً ولكنه كان يعتبرني سنده، لا أعلم لماذا؟

في الجيش تعلمت السواقة وأحببتها، فهي انطلاق دائم إلى الأفضل، إن لم يعجبك مكانك فقط، أدر مفتاح سيارتك وانطلق، وانتهت أيام جيشي وخرجت للعالم في عقلي، لن أعمل إلا سواقًا وبالفعل قدمت في كل عمل له علاقة بالسواقة، كل وظيفة تطلب سائق، وبالفعل تعينت في هيئة النقل العام وكأنه

كتب عليَّ ان اوصل الناس احياءً وامواتًا ولكن لم يعلم أحد مهنة أبي، فتخيل أن من يقود بك الأتوبيس تربي، لن تطاه قدمك أبدًا وكنت فرحًا بحياتي الجديدة رغم المعاناة اليومية والزحام، فقد كنت أحب الزحام جدًا عكس كل السائقين.

ومرت الأيام بي سعيدًا بالنهار، مهمومًا بالليل واشتد بأبي المرض حتى أنه لم يعد يقوى على العمل إلا منهكًا، فأبي كالشجرة يريد أن يموت واقفًا وفي يوم انتظرني حتى أتيت من عملي ونادى عليَّ وقال لي:

- يا عادل، أنا خلاص هموت.

- بعد الشر عنك يا أبويا، متقولش كده.

- الموت مش شر يا بني، ده رحمة وأنا فضلت عمري كله أساعد الناس في الستر مبغاة اليوم ده.

- عارف يا والدي.

- بص يا عادل، أنا عارف إنك كاره يا ولدي شغلتنا دي ومتعصب منها، لكن لو تتدبر يوم محاسنها، هتحبها.

أحب إيه يا أبويا، دي أسوأ شغلة في الدنيا.

لا يابني متقولش كده، بكرة تعرف من بعدي اللي جهلت اوصلهولك في عمري.

- يا أبويا متقولش كده، دة شوية مرض وهيعدوا.

- لا يا ابني، أنا نازل جنب ابويا وأمي بعملي بس، هقابل ربي وارقد جنب ابويا، هو سماني صالح وأنا فضلت طول عمري اجاهد عشان أكون صالح وسميتك عادل عشان تكون عادل، لكل إنسان يا ولدي من اسمه نصيب، ولازم أعلمك كل شيء قبل ما أقابل وجه كريم، أنت طول عمرك نافر مننا وأنا سايبك براحتك وأقول بكرة يتعلم ويرجع ويشيل من ورايا ورثي وحملي، لكن خلاص دنا الأجل وانت نافر وأنا عندي حمل كبير لازم أرميه عليك عشان أرجع خفيف، مفيش عليه غير كفني.

أعترف أن مهنتي قد تكون مخيفة للكثيرين، فأنا شخصياً يخشاني البعض ويتشاءمون من ذكري في مجالسهم، بينما

اعتبر مهنتي احد نعم الله عليَّ فهي تخرج الدنيا من قلبي يومًا بعد يوم، جعلتني لا أركض وراء الحياة وملذاتها بل أعلم جيدًا ما نهاية أيامنا، وربما كان يدب الخوف في قلبي قديمًا حين كنت أعمل مع والدي، بينما الآن فلا أرفض أي حالة مهما كان وضعها، فقد أمرنا بستر الميت ولا مجال للخوف في مهنتنا.

- طب عاوز تقول إيه يا والدي، هريحك، ارمي عليَّ همومك مادام مصمم، أنت عمرك ما شيلتني هم.

- بص يا ولدي، في شغلتنا دي، أنت لا بتراعي أهل الميت ولا الميت، أنت بتراعي ربنا بس، في إيدك أمانة لازم تحسن توصيلها، مهنتنا دي ربنا أوحى للغراب عشان قابيل يداري سوءة أخيه هابيل.

- عارف يا أبويا.

- لازم تكون دايمًا طاهر عشان تستقبل الضيف الوارد، ده ممكن يجي أي لحظة، تصحا من نومك تتطهر وكل صلاة يا ولدي تصبغ وضوءك عشان تجدد طهارتك.

- حاضر يا أبويا.

- ولازم تتجوز يا ولدي، الجواز بيعصم من الخطأ والخطيئة.

- لا، أنا كويس كده.

- وبعدين معاك يا ابني.

- حاضر يا أبويا، هتجوز.

أول ما يجي الميت تقول الدعاء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد وله الشكر وله الفضل وله الثناء الحسن، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، لا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم صلّ على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين عليه أفضل الصلاة أتم التسليم

اللهم وأظله تحت عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك ولا باقي إلا وجهك، اللهم بيض وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، اللهم يمن كتابه، اللهم وثبت قدمه يوم تزل فيها الأقدام، اللهم اكتبه

عندك من الصالحين والصديقين والشهداء والأخيار والأبرار. اللهم اكتبه عندك من الصابرين وجازه جزاء الصابرين.

اللهم انقله من ضيق اللحود ومن مراتع الدود إلى جناتك جنات الخلود. لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض تغمد (أوتقول اسمه) برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا باسط اليدين بالعطايا، يا قريب، يا مجيب دعوة الداع إذا دعاه، يا حنان يا منان يا رب يا أرحم الراحمين، يا بديع السموات والأرض، يا احد يا صمد، أعطِ (وتقول اسمه) من خير ما أعطيت به نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عطاءً ما له من نفاد من مالك خزائن السموات والأرض، عطاء عظيماً من رب عظيم، عطاء ما له من نفاد، عطاء انت له أهل، عطاء يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك.

وندخله يا ابني، راسه ناحية تحت، أنت اللي تمسكها وتدخله الغرفة بتاعته إن كان راجل في غرفة الرجال وإن كانت ست في غرفة الحريم وإن كان طفل يبقى رحمة من ربنا ندفنه زي ما يقول أهله.

وتيمه يا ولدي على جنبه اليمين وتفك الأربطة بتاعة

الكفن رباط رباط، وتحط على الميت شوية تراب وتسنده بشوية تراب من ورا عشان يفضل على جنبه اليمين، ميقعش وتدعي يا ولدي وكل واحد وعمله بيكون قبره، وده سر رب العباد ملناش فيه دخل ولا كلام، المهم احنا بنعمل اللي علينا ولازم ترفق بأهل الميت وبالذات الشباب منهم مصيبتهم كبيرة واللي ميت في حادثة ولازم تتأكد من إن نبضه خلاص، وإن جسمه تلج وصبرهم حتى وإن اتعصبوا عليك استحملهم، والستات يا بني تغض البصر وتحاول على قد ما تقدر متلمسهاش وماتطلبش أجر، قول وحدوووه وهما هيفهموا واللي يدهولك خده، ده أجر تعبك إنما أجرك عند ربك.

وفاضت روح أبي إلى رب العباد ولأول مرة أذرف دموعي على من رحل، فقد شعرت أنه رحل فعلاً ولم ينتقل إلى غرفة أخرى مثلما حدث مع جدي وجدتي، وبقيت طوال الليل أبكيه وتجمع حولي إخوتي وأمي وأبنائهم لأول مرة أرى الحزن في العزاء والإحساس بالفقد الحقيقي وما إن أذن الفجر حتى دخلت إلى الحمام فتحممت وتوضأت كأنني لم أتوضأ طوال عمري، فقد اختلط الماء بدموعي ودخلت مع أعمامي لتغسيله وتحضيره وأحضرت الكفن ولففته حول جسده وقد كانت تلك أول مرة أقف أثناء تغسيل أحد وصلينا عليه واتبعت وصاياه

كلها. فاخذت أدعي له واتبع إرشاداته كما أملاها لي بالظبط، وقد كانت تلك المرة الأولى ولم تكن الأخيرة، فقد نفذت وصيته بالعمل في دفن الموتى، لا أعلم إن كانت إرضاء له أم هو قدري، أتبعه أينما أكون، فقد كتب عليَّ توصيل الناس أحياء وأموات، بالنهار في عملي كسائق وكلما استدعى الأمر أوصلهم إلى مثواهم الأخير.



(محمود بن عم حسين)

سأعترف لك يا ولدي، انني كاذب، فقد قلت لك انني لا اخاف الموتى ولا اهابهم وما هم إلا أجساد تركتها الحياة، فاصبحت لا حول لها ولا قوة، تأخذ دورتها في التحلل ولكنني كاذب، فالموتى يا ولدي لهم أصوات تسمعها ليل نهار، منهم من يصرخ، ومنهم من يسبح، ومنهم من يبحث عن راحته، فلم يرتح بموته، بل بدا شقاءه وأتذكر حين نهرتك آلاف المرات عندما كنت صغيرًا وتقول اني أرى أناس من حولنا يطوفون بأشكال مختلفة، كنت محقًا وانا كاذب، كنت أراهم مثلما تراهم أنت، ولكني اعتدت ان اراهم وايضًا اعتدت أن أنكر وجودهم ولكنهم موجودون أرواحًا هائمة تبحث عن مستقر لها في عالمهم بعد أن غادروا عالمنا.

- نعم رأيتهم آلاف المرات.

ساحكي لك اغرب حالاتي معهم حتى لا تخشى ما سيحدث لك منهم، ولا تخف يا ولدي، فالخوف لم يخلق لأمثالنا، ولا لمن يمتهن مهنتنا.

في إحدى الليالي، وقد كنت يومها لم يتعد عمري الرابعة

عشر، وكنت في الإعدادية في هذا الوقت، ونبت شاربي، ودبت الرجولة في أوصالي، ولم أعد ذلك الصبي، بل أصبحت شابًا. وقد تجمعت أنا وزملائي بالمدرسة ممن يسكنون المقابر مثلي ولاد التُرَبيّة بعد المدرسة، رحنا الدرس وبعدها واحنا مروحين بالليل.

قال محمود بن عم حسين: تعالوا نروح الكشك نشتري سجاير فرط.

هو كان بيدخن ولكن أنا كنت عمري ما جربت أشرب السجاير قبل كده، ورحنا معاه وكل عيل طلع من جيبه اللي ربع جنيه واللي بريزة.

وقالوا: احنا كمان هنشتري ونجرب، احنا بقينا رجالة، ولازم نشرب سجاير زي أهالينا من الرجالة.

وأنا كمان اشتريت معاهم ست سجاير بنص جنيه، وكان صلاح خايف أبوه يشوفه، وهو بيدخن وأنا كمان كنت خايف، بس مرضيتش أبين إني خايف، فمحمود قال: خلاص نروح أي حوش محدش ساكن فيه ونشرب السجاير.

وفعلاً روحنا حوش مهجور من سنين، وقعدنا ندخن ونهزر ونكح ولا في دماغنا ولا في قلبنا اي خوف أوحتى رهبة واحترام للمكان ولكن الظاهر إن سكان المكان من الموتى لم يعجبهم حالنا، فسمعنا أصوات تشبه الهمهمات، وسرعان ما انقلبت إلى صرخات متتالية أفزعتنا جميعًا، فجرينا خارجين من الحوش في خوف شديد إلا محمود بن عم حسين، متحركش من مكانه ولم يخرج معنا، اعتقدنا أنه ليس خائفًا أوأن ما سمعناه هو مجرد مقلب منه، فلم يهمنا أمره كثيرًا، بل واصل كل منا الركض إلى حوشه حيث أهله؛ ليشعر بالأمان هنالك وفي اليوم التالي شق سماء الفجر صراخ وعويل.

كانت أم محمود التي وجد الرجال ولدها ميتًا أمام الحوش الذي كنا فيه وجريا به إلى المستشفى، في محاولة يائسة لإنقاذه، فالجميع يعلم أنه قطع النفس وفارق الحياة، ولكن أمه كانت مصممة أن ولدها مازال على قيد الحياة، لم تصدق خبر وفاته، بينما أكد الطبيب أنه مات مسمومًا وهذا كان غريبًا، فجميعنا كنا نعلم أننا تركناه هناك ودخنا كلنا من نفس علبة السجائر فكيف مات هو مسمومًا ولكن لم يجرؤ أحد فينا على نطق كلمة، لو تحدثنا لقتلنا أهلنا أواتهمنا أهل محمود

بقتله ولاشتعلت النار في المقابر بين العائلات، فمن كثرة خوفنا صمتنا حميمًا، وتم نقله إلى المستشفى ثم إلي ثلاجة الموتى، لم يهتم أحد بفحصه أوتشريحه، فالغالب أنه طفل تربى في الترب على الصدقات، ربما أكل طعامًا فاسدًا من ذلك الذي يجود به أهالي الموتى عليهم، لا أعرف، اعتقدوا ذلك أولم يكن لنا قيمة في نظرهم لبذل الجهد وعمل المزيد، وهناك وقف الأب المكلوم، حيث استخرجت له شهادة الوفاة وتصريح الدفن، وبسرعة تمت إجراءات الغُسل والصلاة والجنازة، وتمدد جسده بجوار جثمان عمه، واستقبل الأهل العزاء وسط حالة من الحزن على العريس الشاب الذي خطفه الموت في ريعان الشباب حيث كان على أول طرقات الرجولة، وبعد ذلك حدث ما لم يتوقعه أحد ولم يخطر على عقل أي منا، سمعت أصوات كثيرة في مقبرة محمود، مما جعل الأهل الذين يسكنون نفس المكان يتفزعون بين لحظة وأخرى، بين أنها أوهام أوأحلام يحلمون بها من صدمتهم، فقد مر على دفنه ثلاثة أيام قبل أن تظهر هذه الأصوات والهمسات في جوف الليل، ولكن حسم خاله الأمر وقرر فتح المقبرة على ابن أخته؛ لينهي كل شك في قلبهم وقلبه فالأصوات ليست غريبة عليهم، فقد اعتادوها فغالبًا ما تسمع

في أرجاء المقابر لعدة أسباب وهم يعلمون ذلك، رفع الخال الغطاء المؤدي إلى المقبرة، فوجد محمود يجلس ملتفًا بالكفن وقد تغير حاله كثيرًا، كأنه كبر مائة عام وفي حالة إعياء شديدة حتى أن الشيب عرف طريقه إلى رأس ابن الأربعة عشر عامًا.

جروا به سريعًا إلى المشفى للمرة الثانية، ولكن الحال غير الحال الأولى كان ميتًا قاطع النفس ولكن تلك المرة، هو تائه بين عالم الأحياء والأموات، لم يخبروا أمه فقد أغلقوا عليها الغرفة منذ نووا أن يفتحوا القبر، خشية أن تنزل إليه وتتعلق به ويهالها منظره، فقد أشفقوا عليها ولكن ها هو يعود إلى عالم الأحياء مرة أخرى، لم يخبرها أحد أيضًا، فقد انشغل الجميع بمحاولة إنقاذه علّه يعود إليهم أويموت ثانية، فلا تجرب حرقة القلب مرتين، وتسللنا إليه ليلاً؛ ليخبرنا عما حدث، كان تائهًا ولكنه يتذكرنا ويعرفنا جيدًا وقد نهرنا لهروبنا جميعًا وتركه وحده في تلك الليلة. وحكى لنا أن الصرخات أصبحت متتالية وبشكل عنيف أفقده توازنه حتى شعر أن الصوت ينفذ إلى داخل جسده فيهتز، لا يذكر أنه خرج من تلك المقبرة، ربما يكون مشوشًا من الصدمة، فقد وجده الرجال خارجها، لو كان داخلها ما كانوا علموا بأمره أبدًا إلا بعد أن دللنا عليه

وأخبرناهم وحمدنا الله أنه خرج حتى لا نقع في ورطة، وأقسمنا عليه ألا يحكي حتى لا نعاقب جميعًا. بدا موافقًا ومستسلمًا إلينا على غير عادته، فهو مشاكس من الدرجة الأولى ولكنه تغير، بدا أكبر سنًا، ولكن ما أخافنا حقًا هي عينيه فكلما نظر إلينا شعرنا أنها تنفذ إلى داخلنا وقد تغير لونها، فأصبحت مثل أعين القطط لامعة ومتغيرة اللون، لا أذكر أن عينيه حتى كانت بنية، ولكنها الآن نراها رمادية أحيانًا وزرقاء أحيانًا أخرى، حكى لنا أنه أفاق بعد وقت لا يعلم مدته، ووجد أن الظلام دامس، فتحسس المكان حواليه فلاقى الميتين مرصوصين جثثًا في كل مكان، الدنيا كانت ضلمة، صرخت بأعلى صوتي لدرجة أن شعر راسي وقف، بعدها قعدت أرتعش من البرد والخوف.

وأكمل محمود بأنه بعدما فاق كده لنفسه، قعد يصرخ، وحاول الخروج من القبر باتجاه السلالم المؤدية لباب المدافن، فهو عارف كل حتة في الترب، وأكمل: «قعدت كتير على السلم اصرخ وانادي ولما كنت بتعب كنت بروح في النوم تاني واصحا معرفش قد إيه قعدت أخبط وأدعي ربنا يبعتلي حد ينقذني. وبعدين لقيت حد فتح، الأول معرفتوش وبعدين عرفت إنه خالي أحمد من صوته، وسكت فجاة ولمعت عيناه، كأنه نسي

احنا مين وقعد بيصلنا كاننا أغراب، خفنا أوي منه وجرينا ناس بره المستشفى، لحد ما رجعنا بيوتنا تاني يوم، أمه عرفت اللي حصل، لبست جلابية بيضاء وقعدت تزغرط وتقول كنت عارفة إن ضنايا لسه عايش وراحت له المستشفى ولكن أول ما شافته، صرخت في وشه، واتبدل حالها وقالت ده مش محمود، ده البدل، ده مش ابني، فين ابني يا حسين، ده مش هو، وفجأة اترمت في الأرض، ومطلعتش صوت تاني، ماتت والكل واقف في ذهول، لا عارفين يفرحوا باللي رجع، ولا يحزنوا على اللي فارقت.

بعدها فضل محمود في المستشفى فاقدًا للقدرة على الكلام لمدة ثلاثة شهور كاملة، مرمي في المستشفي، محدش عارف إيه جراله؟! حتى أهله مبقوش يزوروه، كلمات أمه خوفت الكل منه، ولون عينه، والناس قالوا إن محمود مازال ميتًا، وأن من خرج من القبر يومها عفريت، أبدله ملوك الجن فسكنوا جسده وآلاف الحكايات نسجت عنه، وأنه بطل كلام بعدما كان بيتكلم لأنه مش إنسان، وبعدها المستشفى كمان رمته بره، لم يهتموا بأمره أول مرة، ولم يهتموا في الثانية، فخرج إلى الشارع ولم يجده أحد بعد ذلك إلا مشاهدات، الناس بتقول إنه بقى من المشايخ

والدراويش في سيدنا الحسين. وناس بتقول إنه بيجي بيطوف بالليل في المقابر جنب المقبرة المهجورة، وبيمشي قبل الفجر. اما انا فكنت ممن يرونه هناك. كلما مررت من جوارها، أراه يدخن سيجارته تلك التي أدخلتنا إلى تلك الدوامة غير مبالٍ بما يحدث حوله، وينظر إليّ بتلك العينين التي تخترقني. فأمر من هناك سريعًا. لن أنسى هذا اليوم طوال عمري.



(العضامة)

انت تعرف يا ولدي أن غرفة الدفن مساحتها مترين وعشرة سنتمترات من كل جانب، مثل حجراتنا التي نسكنها فوقهم مباشرة، لا تختلف كثيرًا، وأنت تعرف أن تلك الغرفة السفلى تسع ألفًا من البشر، عكس غرفتنا كلما كان يخبرني ابي ذلك، اعتقد انه يبالغ ولكن ما حدث في عصر يوم من الأيام، لن انساه أبدًا، ففي ذلك اليوم، دب الرعب بأوصالي، وأبي موجود ولم يكن ذلك في حسباني، فقد كان أبي هو درعي الحامي، كلما خفت، عدت إليه، ففي حضرته يذهب الخوف والحزن معًا، ولكن ذلك اليوم عرفت شيئًا، لم اكن أعرفه من قبل، وأنت تسمع عنها، ولكني لم أشأ ان تراها يومًا ما، فقد جاهدت طوال عمري لإخراجك خارج مدينة الموتى، وإن كنت عجزت عن ذلك بالمكان، ولكني أعتقد انني نجحت بإخراجك من كل ذلك الجنون، وتلك المهنة، ولكنه قدرك ان تحمل عبئي وترث مهنتي ايضًا.

ذلك اليوم أحضر ابي قماشًا ابيض كثير، ذلك المدعو بالقماش البفتي، فلا توجد أسرة هنا لا تعرفه، وجلس وقطعه إلى قطع صغيرة أكثر من عشرة قطع من دون مقص، وعندما احضرت له واحدًا.

قال لي: يا ولدي، لا يجوز شرعًا، فهو مخيط بلا حديد.

لم أفهم ماذا يعني؟؟ ولكنه أعد كل شيء واخذني بيده، ونزلنا سويًا إلى حوش من تلك الأحواش التابعة لنا، ودخلنا بروية، وقد كانت غرفة الرجال، وجلس ابي في الأرض يحفر حتى وصل عمق حفرته إلى حوالي متر. وجلس يستريح، وأنا داخلي ألف سؤال، فلم نعتد الحفر إلا في اللحد أما الغرف فلا حفر فيها، فقط نفرش طبقة من الرمل، وينام أبي مكان الميت حتى يتأكد أنه مستوٍ في رقدته وسمكه، وأن الرمل لا يحوي أي احجار أوخلافه، تقلق راحة الميت، وكثيرًا ما كنت أتعجب من حاله، فالموتى فارقوا الحياة، فكيف يشعرون بالحصوات؟! ولكنه كان يقدس مهنته ويكملها كما يجب، ويرقد الميت على جنبه اليمين، ويسنده بالرمل حتى لا يقع بعد أن يفك شرائط الكفن بعناية، ولكن تلك المرة يحفر حفرة عميقه جدًا، وقال لي: اليوم سنعيد تكفين هؤلاء الموتى؛ لنضمهم في المضامة.

ولم أفهم لماذا نفعل ذلك؟

ولكنه قال لي: حتى نفسح مجالاً لضيوف آخرين.

وبالفعل أخذ يفك كفن إحدى الجثث بعد أن اهترئ كفنها واصفر لونه، ولم يعد يحوي سوى هيكل عظمي، وأخذ يلملمه داخل إحدى تلك الأكفان الصغيرة بعناية شديدة، كأنه جراح ماهر وأنا تملكني الخوف والهلع، لم أشاركه العمل من كثرة خوفي، ومنعني كبريائي عن إعلان خوفي، فأعلنت اشمئزازي مما يفعل فقط، وبالفعل جمع كل ميت في كفنه الصغير، ووضعهم في تلك الحفرة.

قلت له: لماذا لا تضعهم جميعًا مرة واحدة وننتهي؟

قال لي: مستحيل، فتلك أمانة، لا يخلط العضم بالعضم، وبالفعل ما إن انتهى من حجرة الرجال حتى ذهب إلى حجرة النساء، وفعل مثلما فعل ولكن تلك المرة كان أشد حرصًا الا يلمسهن إلا بلمحة، ولبس بيده جوانتي لحرمتهم ووضعهم في حفرة أخرى بحجرتهم، وانتهى من ذلك، ومنذ ذلك اليوم، عرفت كيف يسع القبر المئات.

وعندما قلت له: لماذا لا ندفن في لحود ونخلص؟

قال لي: ونجيب أرض منين يا ولدي؟ الأحياء ماليين الأرض،

معدش للأموات مكان، ولا حد من العايشين عاوز يتنازل عن مكانه.

يومها لم أنم لعدة أيام متخيلاً أن هذه الحفرة تخرج مئات الأموات يطوفون حولي.




(صرخات سمر)

في تلك الليالي، ربما كنت أتوهم أني أراهم نتيجة صدمتي بالمضامة، ولكني لا أنكر أن رؤيتهم حولي آلاف المرات، كنت أنهيك عن قول ذلك وأقسى عليك لمحاولة إبعادهم عنك، فلم أرد أن يتملكوا حياتك، مثلما فعلوا معي.

نعم، أنا أرى أشباحهم أوعفاريتهم أوأي كان ما يسمونها، إنهم يسيرون معي بالطرقات، فأراهم أحيانًا جليين أمامي في شكل قطط تسير ليلاً، وتحوم حولي محاولة إخباري قصص أصحاب تلك الأرواح، وأحيانًا أراهم أطيافًا، تمر سريعًا ولكن إن حدثت واخترقتني يومًا، كنت أجلس أرضًا فيضيق صدري وأشعر كمن شل شللاً مؤقتًا، فتوقفت جميع وظائفه.

هما أقوياء يا ولدي، ونحن ضعفاء، مهما ادعينا غير ذلك، لا أنسى يوم أن جاءت تلك المرأة، كان الليل قد انتصف منذ قليل، وسمعت مناديًا ينادي عليّ: قوم يا حج عادل، معانا أمانة.

وقمت سريعًا، وفتحت الباب، وجدت موكب الحزن واقفًا، ولكن قسمات الناس تحمل أكثر من الحزن، تحمل قسمات وجوههم شعورًا بالقهر، ونظرت للأوراق سريعًا؛ لأجد أن الميتة

أوبالأحري القتيلة فتاة، لم تتمد الثالثة والعشرون من العمر، قتلت على يد زوجها بشكل بشع، فقد دفعت حياتها مقابل ملعقة غير نظيفة من زوج أدمن الخمر، فذهبت بعقله، فأخذ يضربها حتى فارقت الحياة، وهي تحمل في بطنها ولده بالشهر الخامس، اقشعر جسدي، وأنا أسمع القصة من مفتش الصحة الذي أتى معهم خصيصًا؛ لأن أهلها ثكلى وغير مصدقين.

كانت تحمل اسم سمر، فتحت لهم القبر ووضعتها، وأتممت كل شيء، ووقفت أدعو لها، كان أبي يبلغني أن الموتى يخافون، وبالأخص هؤلاء الذين يدفنون ليلاً، فلا يترك باب المقبرة إلا بعد ساعة كاملة لطمأنتهم، وكان يرفض قدر المستطاع دفن الموتى ليلاً إلا إذا اقتضت الحالة ذلك، وهذا اليوم فعلت مثلما كان يفعل أبي، واقسم لك يا ولدي أنني وأمك كنا نسمع صراخها كل ليلة، وتوسلاتها لزوجها أن يرحمها هي وطفلها، ولم تكن تهدأ نهائيًا، وكان يسمعها كل من يسكن بجوارنا، ولم تصمت رغم إحضاري عشرات الشيوخ، فهي روح هائمة غير مرتاحة، ولكن ذات يوم لم نعد نسمع صوتها، فقد صمتت قبل الفجر بقليل، ولم نصدق أنفسنا، فقد عشنا في هذه الحالة ما يقارب العام والنصف، حتى اعتدنا صرخاتها، ولم تصرخ

بالليلة التالية من أولها فحمدنا الله، ولكن كان داخلي سؤال:

لماذا صمتت فجأة؟

وقد جاء الرد ظهرًا حيث أتت أمها تلبس اللون الأبيض متهللة الوجه، وكأنها تحمل بشارة لابنتها أن قاتلها قد أعدم منذ عدة ساعات.

فعرفت، لماذا صمتت؟؟!



(أطفال تطوف ليلاً)

في الترب تشوف العجب، حاجات ولا كان عمرك تخطر لك على بال حتى، وأنا شفت كتير اوي، بس في حاجات من بشاعتها، وإنها عايشة معاك يوم بيوم، ممكن تتعود على كل حاجة إلا الحاجات دي، ومن ضمنها إنك تشوف أطفال بتطوف وتلف في الترب طول الليل، تخبط على كل البيبان، وتنادي على الأطفال، يطلعوا يلعبوا معاهم بره الأحواش، ومحدش بيفتح لهم ابدًا، الناس بتكتفي إنها تبص عليهم من ورا الحديد، والرعب مالي قلوبهم على عيالهم اللي بيندهولهم بالاسم، وكل ليلة أول ما يبدأ الندهان زي النداهة اللي كنا بنسمع عنها في الحواديت، يجوا بعد الساعة اتناشر، ويندهوا، مش قولتلك: الترب مسرح كبير، وبيبدأ فيه العرض بالليل، بيبدأ الرعب، والأطفال دول كانت حكايتهم غريبة أوي، كل اللي يعرفها يبكي على حالهم، ورغم الرعب والخوف منهم، لكن كانوا بيصعبوا علينا.

كانوا تلاتة: سمر، وإسلام، وعبدالله، التلاتة كانوا إخوات، أبوهم قتلهم، أيوه يا بني متستغربش، أبوهم دبحهم بالسيف في ليلة بالليل في نفس الوقت اللي بيطلعوا فيه كل ليلة.

الأول دبح إسلام الكبير، طير رقبته بالسيف خالص، وكان بيظهر على هيئة موته، شايل راسه على إيده، وواقف ينده للعيال، الأول كانوا فاكرينه عيل ماسك كورة من عيال الترب، أتاريه ماسك رقبته اللي طيرها أبوه بالسيف.

وسمر كانت رقبتها مقطوعة بس مدلدلة منها على جنب، ودي مكنتش بتنده على العيال، دي كانت بتعيط، وتقول للعيال بابا قالي مش هيدبحني، بس دبحني يرضيكم كده؟

والتالت عبد الله، كان عيل صغير ميعديش ٥سنين، وكانت رقبته مدبوحة بس موجودة مكانها، وكان جريمة قتلهم البشعة دي معروفة في مصر كلها زمان، لو واحد كان يقتل الدنيا تتقلب عليه، وفي زماننا ده بقت الناس بتقتل عيالها ومراتها من الفقر والعوز بيقول بريحهم، واللي بيخسر فلوسه فيقتل عياله عشان ميعشوش في أقل من مستواهم أوان التجارة كانت باسمهم كمان فمايتسجنوش معاه، إنما العيال دي أبوهم قتلهم وساب أمهم عشان سبب تاني خالص، كان بيضحي بيهم أضحية بشرية عشان يثبت إنه نبي، تتخيل دبح عياله بالسيف عشان يلفت النظر ليه والإعلام عشان يقولهم أنا نبي، وأنا المهدي المنتظر، والغريبة إن

الراجل مكنتش مجنون ولا يبان عليه، العكس كان راجل محترم، مدير في الحكومة، وفجأة زي ما يكون اتلبس واتغير، بدأ يدعي إنه بيوحى إليه حاجات، وإنه بيشوف علامات النبوة، وإنه لازم الناس تعرف إنه نبي وذو بأس شديد. فقتلهم وساب مراته، لو كان قتلها كان أرحم لها. كانت بتيجي الترب كل ليلة قبل الفجر، وتشوف أشباح عيالها، وهما كده وتلمهم حواليها وتلعب معاهم لحد ما الفجر يأذن، ويختفوا. تفضل تلف عليهم في الترب من الفجر للعصر، والأخر تتعب تترمي في أي مكان وتنام، وتصحا بالليل ترجع لهم تاني، لحد ما اليوم اللي اتحكم عليه بالإعدام، وقفت ماسكة الفاس في قلب الترب ومنعت أهله يدفنوه مع عياله أبدًا، وساعاتها بقوا واقفين بيه عمالين يكلموا الناس عشان حد يرضى يدفنه عندهم، والكل رافض واللي يكلموه يقفل في وشهم السكة، لحد ما الليل قرب يدخل ولا في فايدة، لا بتتعب ولا بتقفل ولا هما لاقيين مكان تاني.

لحد ما جه الحاج إسماعيل كبير الترب، وقال: خلاص ندفنه في ترب الصدقة وخلاص قبل ما ريحته تطلع، ملهاش حل تاني، ورحنا دفناه هنالك، ومجالوش حد يزوره إلا أخوه، كل فترة يجي يقراله الفاتحة، ويترحم عليه ويمشي كأنه بيسرق، مش عاوز حد يشوفه.

والست فضلت على حالها كده، تيجي كل ليلة تلم عيالها حواليها وتلاعبهم وتمشي، وأهلها افتكروا إنها اتجننت لما قالت لهم: إنها عايشة مع عيالها فسابوها في الشارع، تعبوا من إنهم يرجعوها وتهرب، فسابوها وكل واحد عاش حياته ونسيوها، ولما فتحت غرزة الكيف، كانت بتيجي تقعد قدامها كل ليلة لحد الساعه ١٢ بالليل، وكانت بتصعب عليَّ فاديتها شوية مناديل ولب تبيعهم عشان تاكل من تمنهم، بس التمرجي حسونة الزفت علمها الكيف، وبقت بتضرب حقن زيه، ولما قولتله: ليه يا واد أنت؟

قالي: دي الكيف ليها رحمة، الست هتتجنن عشان عيالها، قلت أرحمها شويه، أهو هيغيبها عن الوعي وعن التفكير فيهم.

ساعتها حسيت إن كلامه مقنع حتى بعد ما اتقبض عليه، ودخل مستشفى المجانين، أنا مقطعتش عنها الحقن والكيف، اعتبرته صدقة، مكنتش باخد منها مليم تمنه، وحسونة برضة مكنش بياخد منها، رغم إنه أسوأ خلق الله، لكن شهادة حق، عمره مبصلها بصة وحشة، وكان بيقولي: ده علاج ليها، متستغربش يا ابني، النسيان نعمة، وفي الحالة دي الكيف كمان نعمة، ومنعت أنا كمان أي حد يقرب لها من مقاطيع التُرب، لا

باكلوها لحمة حية ويغلوها زي حريم التـرب، وقلت لهم: لا دي بصي أنا.

وكانت في حمايتي لحد ما اتقبض عليَّ، مش عارف دلوقتي، جرالها إيه ولا راحت فين؟ ماهو كده الغلبان مش بيشبع غلب.



(الصديقين)

وكمان يا ابني شوفت في مهنتي العجب، اتعلمت منها إن الدنيا دي غريبة، وفيها ناس زي السبحة، إن فرطت واحدة بتفرط كلها، عمري ما اتخيلت إن الحزن ممكن يموت الا لما شفت بعيني، لما طلعت معاش وبقيت قاعد ليل ونهار في الحوش، بقيت بزهق من القاعدة، فبقيت أروح الجمعية الشرعية، اغسل هناك، وأهو منه برضه رزق داخل، ما هو أنا معرفش إلا السواقة والموت، والسواقة الصحة ولا النظر بقوا بيساعدوني.

فقلت: أنا كده كده رايح للموت، معدش ليّ غيره.

في يوم كنت قاعد في المغسلة، وجابوا شاب في الثلاثينات من العمر، جابوه وكان معاه ناس كتير إخواته ومعارفه والكل قلبه محروق عليه، فقلت للمساعد: طلعهم بره، مش هينفع كده.

وخرج الكل حتى أبوه ماعدا واحد بس رفض يخرج نهائيًا، وكان مقهور عليه بشكل لا يحتمل، وكنت فاكره أخو الميت، فقلت له: خلاص يسيبه. ولما بدأت في خلع ملابسه، وجدت الشاب ده يبكي بحرقة شديدة بصوت، فاستغربت في ده فحاولت إني أركز

في عملي، إنما من شدة بكاء الشاب لم أستطع، هذا دعاني إلى سؤاله، فقلت له: الله يجزاك خير، ادعو لأخوك بالرحمة، فهو الأن لا تجوز عليه إلا الرحمة.

فقال لي وهو يبكي: إنه مش أخي!

فاستغربت إزاي مش أخوه، ويقوم بإخراج أبوه ووالده وإخوانه من مكان الغسل ويبقى هو لوحده!

حاولت أن أهديه، وأجر معاه كلام علشان أخفف بكاءه.

فقال لي: يا عم ده أكثر من أخويا، ده وأبي.

فقت له إزاي؟؟

قال لي: يا عم عادل، درسنا الابتدائية سوا، ودرسنا الإعدادية سوا، ودرسنا الثانوية سوا، وتخرجنا من نفس الكلية، واتعينّا احنا الاثنين في شركة واحدة، وتزوجنا أختين، وربنا رزق كل واحد ولد وبنت، وساكنين في عمارة واحدة، كل واحد آخذ شقة قبال الثاني، كل يوم نروح للشغل بعربية واحد فينا، حتى مكناش بنفرق، مين يسوق عربية مين.

ورجع يبكي تاني، واحنا بنصب الميه على جسم زميله، قلت له: أنتم كنتم زي الإخوات بالظبط.

قالي: أكتر يا عم عادل، أخويا ابن أبويا وأمي مش بشوفه إلا في المناسبات النادره جدًا، كنا بناكل ونشرب سوا مش بنفترق إلا وقت النوم بس.

كنت خلصت شغلي وخرجوا عشان يدفنوا، ورحت معاهم حتى في القبر مكنتش عاوز يطلع منه إلا بالعافية، وقلت في نفسي بكرة ينسى صاحبه، الدنيا بتلهي الناس.

تاني يوم العصر، جابوا لي ميت تاني، وكان برضه شاب، وكأن الموقف يتكرر، حتى الناس في منهم نفس الناس، قلت: إيه ده؟ جايز يكون أبو الميت بتاع امبارح، مات وراه، بكشف وشه، لقيته الصاحب، رقد مكان صاحبه ميت، اتخضيت، مصدقتش لدرجة إني هزيته كذا مرة، وقيست نبضه لا يكون في حالة إغماء أوغيبوبة سكر بس، فقلت للراجل اللي واقف إيه سبب وفاته؟

قال: زوجته كانت بتصحيه عشان ياكل لقمة قبل العزاء نشاع صاحبه مردش، قلبته، كان قاطع النفس، جبنا دكتور قال: سكتة قلبية.

أول مرة يومها، أحس إن في الدنيا حزن يموت.



(عبير)

هحكيلك قصة عبير، ودي واحدة من مائة واحدة جولي ساعدتهم، لكن مش فاكر منهم إلا عبير. أساميهم ووشوشهم راحت مني في الأيام، ولكن عبير عشان كانت أول مرة مقدرتش انساها، جاتلي في يوم الظهر، وكانت شابة متجبش عشرين سنة، ومعاها حماتها جراها جر وراها، وقالت لي بالحرف: البت مش بتخلف بقالها سنتين، وعاوزين نخضها عشان تحمل.

قلت لها: واخضها إزاي يا حاجة يعني؟

قالت لي: خليها تنام مكان الميت في التربة، هو انا بقى مفهمك يعني إيه؟ اشيل الميت وانيمها مكانه؟

لا، لازم تكون اقدم تربة عندك، ويكون خلاص العضم داب وانتهى، وهي تنام عليه.

يعني لازم تربة قديمة، يا مينفعش؟

اصلي تربي جديد ومعرفش إزاي انيمها في التربة؟؟!!

والست بتتكلم، كنت شايف الرعب على وش البنت، بس زي ما يكون مفيش في إيدها اعتراض ولا حيلة، لازم تنفذ امر حماتها.

طلعت الست من جيبها خمسمائة جنيه، وده كان مبلغ كبير أوي، كان ممكن أشتري بيه عربية. وساعتها معدتش شايف لا عبير ولا خوفها، كنت بس مركز هاخد الفلوس دي إزاي؟؟

قالت لي الست: إنها لازم تنام مكان ميت في أقدم حوش بالمنطقة.

قلت لها: طلبك عندي، هنيمها مكان سليمان باشا نفسه لو عايزة.

وساعتها الست فهمت إني وافقت والفلوس عملت شغلها معايا.

وفعلاً خدنا البنت من إيدها ونزلتها بإيدي تربة سليمان باشا، وكان الموضوع صعبًا، عشان كان الباب مصدي من قلة فتحه، ولكن نجحت في الأخر، ودخلتها وقفلت عليها الباب من برة، وكنت سامع صريخها لحد ما حماتها أمرتها تخرس خالص، لا تتلبس من خوفها سكتت، وبعد شوية فتحنا عليها الباب، وكانت روحها رايحة ووشها أصفر لدرجة إني اضطريت أشيلها عشان أخرجها برة القبر، وقعدت عندي هي وحماتها باقي اليوم، على ما قدرت تمشي، بس الست كانت مستعجلاها؛ لأنها لازم تروح الليلة وتنام مع جوزها عشان تحمل، لا يروح أثر

الخضة، فتكرر تاني، فقامت البنت جري وراها، ومشيوا، وأنا كنت مبسوط بالفلوس، وكل ما كنت أحس بالذنب، احط إيدي على جيبي، أرجع اطمن تاني.

وأنا معملتش حاجة تضرها، هي جاية بمزاجها، وماشية من عندي على رجليها، كنت دايمًا بقول لنفسي كده، وجت واحدة ورا التانية، كانوا كلهم بالنسبالي عبير، لا بقيت أسأل عن اسمها ولا مشكلتها، أجرها من إيديها على قبر سيلمان باشا، وأقفل عليها، وبعد كام ساعة أرجع أشيلها، وأرجعها تاني، ده أنا حتى بقيت خبير، وبنصحهم شوية نصايح عشان الموضوع يكمل وتحمل، وأوصيها لازم تيجي بالبشارة والحلاوة.

بس في يوم، رجعت عبير بعد كام سنة، والمرة دي هي اللي مقدمة الخطوة، وحماتها وراها ولكن في وشها قهر سنين، وجت وقالت لي: إنها لازم تنام في الترب تاني.

بس المرة دي معاها حجاب شيلاه في رقابتها عشان تحمل؛ لأن الشيخ قالها إن معمولها عمل، ولازم تنام في الترب، وتتخض عشان تحمل. صعبت يومها عليَّ؛ لأنها جاية برجليها للرعب تاني، أكيد اللي سابته وراها رعب أشد، وساعتها دخلتها.

بس المرة دي قبل ما أخرج قالت لي: عاوزاك ياعم عادل في موضوع. كانت حماتها عندي في الحوش، قالت لها: خليكي، أنا عارفة طريقي.

قلت لها: خير؟

قالت لي: أنت متجوز؟

قلت لها: آه.

قالت لي: مخلف؟

قلت لها: آه.

قالت لي: خلاص، أنا هديك الفلوس دي، بس عاوزاك تنام معايا.

اتخضيت جامد، وقلت لها: إيه؟

قالت لي: جوزي العيب فيه مش بيخلف، وأنا كل يوم وصفة وشيخ، بس أنا رحت من وراهم للدكتورة، وقالت مفكيش عيب وخلي جوزك يحلل، ولما قلت كده ضربوني، وهددوني بالطلاق،

عيلة جوزي اصحاب مراكز، وأبويا تاجر، وإن اتطلقت كل شغله وحياته هتنتهي، وإن مخلفتش هيجيبلي ضرة، وأنا مقدرش استحمل ليلة واحدة، وأنا بحبه، وانت شايف حماتي زي ظلي، ساعدني أجيب العيل وهديك اللي انت عاوزه.

اشمعني انا؟؟ سؤال لقيت نفسي هموت واعرف إجابته.

لسببين: انا عمري ما بروح مكان لوحدي، يا أهله معايا، يا أهلي، حتى لما أهلي كشفوا عليّ، ودوني لدكتورة، ومقدرش الجأ لحد من الخدم، واحط رقبتي تحت سيفه، وهيبقى ليل ونهار قدامي، وممكن يطمع في تاني، يا يفضحني، وانا مش عاوزه اخون جوزي، هي مرة، يا نجحت، يا هواجه مصيري بشجاعة، وانت بالذات متمرضنيش، وهتستكفي بالفلوس، أنا شفت الخمسمائة جنيه عملوا فيك إيه، أنا هديك الف.

مفكرتش كتير، دقايق وكنت نايم معاها، البت حلوة وشيطاني غلبني، قعدت معاها تلات ساعات، ولما خلصت ورجعت لحماتها برضه، كنت شايلها زي المرة اللي قبلها، ولما سألتني: مجتش ليه؟

قلت لها: كانت خايفة، قعدت معاها هناك، خفت يجرالها حاجة، أنا مش ناقص.

ومن يومها راحت مشوفتهاش تاني، بس جاتلي حلاوة حملها، والبشارة مع حماتها بعد كام شهر، ويومها حسيت إني اتهديت قوي، الموضوع لم ينته في المقبرة، ولكني لا أستطيع أن أفتح فمي، فقط عرفت من الست اسم عيلتها، وأين يسكنون؟ واسم ابنها زوج عبير وكفى، وظللت بعدها بضع سنوات أذهب إلى هناك لأرى طفلي من بعيد فقط، وبعد مدة نسيت الموضوع كأن لم يكن، ولا يمر ببالي إلا كل بضع سنوات أفكر فيها ثم أقول ربنا رحمها، إنها هتطلع بنت ناس كويسين وعيلة وفلوس، مش بنت تربي وتعيش عمرها كله في الترب مدفونة وهي عايشة.



(التربي بيحب)

سأتكلم يا ولدي عن أمك، وكيف تزوجنا؟؟

فبعد موت أبي، واقتراب أمي من اللحاق به، لم أجد حلاً سوى أن أسمع لها، وأسعى للزواج، وبالفعل دق قلبي لفتاة، كانت تركب معي كل يوم إلى عملها، حيث أقود الأتوبيس، وكنت أحرص على المرور بمحطتها بالموعد حتى لو فوت بعض محطات وسط سخط الراكبين، الأهم أن ألحق بها، وكانت تبدو من أسرة فقيرة الحال، فهي تذهب إلى العمل في التاسعة صباحًا، ولا تعود إلا في العاشرة مساء، حيث تعمل بمحل لفساتين الفرح في الزمالك، وتسكن في شبرا الخيمة، وقد سلطت عليها زميلي عم صلاح الكومسري؛ لكي يعرف عنها كل المعلومات التي أريدها، وقد كان رجلاً كبيرًا ذو لحية بيضاء وشعر اشتعل شيبًا، ووجه سمح وصبوح مما يجعل الحديث معه سلسًا وسهلاً، فكان يصبح عليها ويسألها عن حالها، ويومًا بعد يوم عرف اسمها ومواعيد عملها، وماذا تعمل؟ كان اسمها نور، وكانت نور بالفعل، ذلك الوجه الملائكي، والابتسامة الساحرة، وكانت ذات شعر شديد السواد، وعينان كأنها ولدت كحلاء من سوادها، ورموش تجرح دون نقطة دماء، وذات شفاه ممتلئة في حسن، ولا تضع مساحيق تجميل سوى الكحل بعينيها، ولكن عندما تنظر تجدها في أبهى

صور الأنثى، ودائمًا ترتدي اللونين الأسود والأحمر، ولا تلبس الميكرو جيب، فقد كان هذا هو الزي السائد في تلك الأيام، بل تعقد شعرها على شكل ذيل حصان تطرحه على ظهرها، وترتدي قميصًا أحمر وجيبة سوداء واسعة وقصيرة، ولكن لا يظهر من ساقها إلا ما يقارب العشرون سنتيمترًا، وكان يبدو أن هذا زي العمل، فقد اعتدتها على ذلك كل يوم، أذهب في التاسعة إلى المحطة، وإن ذهبت باكرًا أتلكع حتى تظهر، وإن تأخرت أظل كالتائه، أنظر بين الناس، وإن كانت سبقتني، كان اليوم يصبح أسوأ أيام حياتي، وأحاول أن أطير لأراها تدخل إلى عملها.

إلى أن رأيتها يومًا لا ترتدي زي العمل، بل ترتدي فستانًا أبيض نقشت عليه ورودًا حمراء، وتنثر شعرها دون قيد على كتفها، وتصعد إلى الأتوبيس، لم أستطع، فقلت لها: هل تقابليني اليوم بعد العمل؟ أنا أعزمك على الغداء.

فقالت: ومتى تنتهي من عملك؟

قلت لها: بعد ثلاث ساعات.

قالت: إذن، سأنتظر معك بالأتوبيس.

وعندما نظرت إليها بانبهار، انكسفت، فقالت لي: كنت أتمنى دائمًا أن أصل لنهاية الخط واليوم أجازتي.

وكان هذا تصريحًا منها بالقبول، فهذا اليوم من أسعد لحظات حياتي، لم أشعر بالعمل، فقد كنت طائرًا بالأتوبيس، لا أسير على الأرض، وانتهت الوردية رغم سعادتي الطويلة حتى انني كدت أن اترك الأتوبيس من قلة تحملي للوقت، وبالفعل جلست معها، كانت أجمل من أن تدرك من قريب، وقالت أنها كانت تنتظرني كل يوم، وكانت تلاحظ إعجابي بها، وتبادلني، ولكنها كانت تنتظر مبادرتي، حكت لي عن حياتها، عائلاتها، وانها ابنة وحيدة لأسرة من ثلاثة أشقاء، وأخواها صبيًان، وهي فقط بنت، وهي الكبيرة، وتعمل كي تجهز نفسها، وابوها وأمها من عمال مصانع شبرا الخيمة، وهم عائلة كادحة، لا تملك إلا الستر، وكانت تحكي، وكيف أنها حصلت على التعليم حتى إعدادي، لم تستطع إكمال المزيد، ولكن انا لم أجد ما أحكيه، ولم أجد ما اقوله عن عائلتي، كيف اقول لها أنني تربي ابن تربي، يسكن أحواش الموتى، وسألتني عن أهلي، قلت لها: إنني

أريد ان أسمع منك فقط، ولا أريد الكلام، فقط أنت اليوم، احمر وجهها خجلاً.

مرت الأيام، وأنا انتظرها كل يوم، فنلتقي على بعضنا مئات الكلمات بالعيون، وفقط بضع كلمات باللسان.

ويوم الأجازة نقضيه سويًا طوال اليوم، نتحدث ونمشي ونأكل ونتكلم فقط في الحب حتى باغتتني بسؤال: أين تسكن؟

لم أستطع الصمت، ولم أستطع الكذب أمام عينيها، ولم أستطع البوح أيضًا، فتركتها وهربت مبتعدًا، لا أعلم ما بي، فأنا أخاف فقدانها أكثر من أي شيء.

ومضت أيام، وكلما التقت أعيننا أرى في عينيها العتاب واللوم، فأنزل عيني بالأرض، ولا أستطيع الحديث، ولكن عم صلاح قال لي: مينفعش يا ابني، لازم تصارحها لتفتكرك بتلعب بيها.

وجاء يوم الأجازة، وجاءت على الموعد، وجلست أمامها مطأطئ الراس، أحكي لها كل شيء عني، أين أسكن؟

وماذا أعمل بعد الظهر؟ ومهنة عائلتي، إرثي الذي لا استطيع الفرار منه.

قالت لي: تربي؟؟!!

نعم......

وصمتت، لم أسمع شيئًا، رفعت راسي لأراها اختفت من امامي، واختفت من حياتي كلها، لم ارها بعدها ابدًا، انتظرتها امام البيت حتى انني ذهبت إلى عملها، ولكني لم اجدها، تركت كل شيء، وكان جرحي عميقًا، ذهبت إلى أمي، وقلت لها: سوف اتزوج، ابحثي لي وأبلغيني بموعد الزفاف، فاختارت لي أمك، كانت ابنة تربي ايضًا مثلنا، تعرف عن حياتنا كل شيء، ويعيشون مثلما نعيش، ولكنها متعلمة، فقد سمح لها أبوها أن تأخذ الإعدادية عشان تفك الخط، فأبوها تربي حكومي، بمعنى انه يعمل في مقابر الحكومة لدفن موتى الحوادث مجهولي الهوية، وموتى أحكام الإعدام وضحايا عمليات القتل، والموتى في مستشفيات الحكومة من الفقراء، ومقابل ذلك يعطونه راتبًا شهريًا وهو ما يميزه عن بقيتنا، وبالفعل أيام وتم الانتقال إلى

حوشـي في شـهر واحـد فقـط، لا أسـتطيع أن أدعـوه زفافًا، فقـد أصـرت أمـي أن نقيمـه في الحـوش عندنـا؛ عشـان تفـرح أبويـا زي مـا قالـت.

وانجبتـك في تسـعة أشـهر، ولـو كان الأمـر بيـدي؛ لاختـرت عقيمًـا، لا تنجـب اومنعتهـا مـن الإنجـاب، ولكنـي لـم أسـتطع فعـل ذلـك، ولكنـي منعتهـا مـن إنجـاب المزيـد.



(تجارة الأعضاء)

بعد زواجي من أمك بعدة سنوات، مات جدك، وكانت أمك الكبرى، فسمعت إلى معاشه، وأرشدها بعض الموظفين أنها من الممكن أن تأخذ وظيفته لو كان لها أخ كبير، ولكن كانت هي الكبيرة فأقنعتهم بكل الطرق أن تحل محله، وتأخذ وظيفته حتى لا يتم طردهم من الغرفتين التي تسكنها أمها وأخواتها، فهذا سكن حكومي سلمته لهم الوزارة لكي يكون قريبًا من عمله؛ ليتوافر أي وقت ويحرص المكان أيضًا، فقد كان تربيًا وغفيرًا في نفس الوقت بعدة قروش، لم أكن حتى استوعب كيف كانوا يعيشون بها؟ وتظهر عليهم ملامح الثراء وبهذه القروش فكيف ذلك؟

وبالذات أن أغلب الموتى يكونون بلا أهل أوفقراء فلا يأتي احد لهم ولا يقرا عليهم حتى لضمان الرزق من طرق أخرى، فبعد الكثير والكثير من المعاملات تم صرف المعاش لهم، وتعيينها مكانه، وكانت أول سيدة تعمل رسميًا بمهنة التربي، فجميع النساء هنا تعمل مع أزواجهن وتساعدهم سواء بالتغسيل أودفن السيدات أوالتعديد، ولكن مع انتهاء مهنة المعددة أصبحن يعملن مع أزواجهن بالدفن، ولكن لم تقتصر المميزات على المرتب والوظيفة الميري بس، ولكن اكتشفت أني وقعت على كنز

من المال، بس المهم إزاي أستغله، من أول يوم جالها الموظفين بتوع الكليات عشان يشتروا الجثث للطلبة بكليات الطب، فهؤلاء الموتى ليس لهم أهل للسؤال عنهم، وأيضًا يتم إرسال أعضاء فقط للدفن من المستشفيات، فبعد بترها يتم إرسالها للدفن، وأنا أبيعها بالقطعة، وسألت، وعرفت التسميرة وأن الإنسان كاملاً أرخص من القطع، وأنه كلما كانت الجثة حديثة كلما كانت أغلى، وساعتها عرفت حمايا، كان جايب الفلوس منين؟ ولكن حين يمر يوم واحد، لا أستطيع بيعها إلا بعد أن تتحلل، فأبيعها هيكلاً عظميًا، ولكن نصحني أحد العاملين بالمشرحة أنه سيحضر لي برميل فورمالين وهي مادة تحفظ الجثث من التلف سريعًا، ويستخدمونها بالمشارح بكلية الطب للحفاظ على جثث الدراسة، وذلك مقابل ألف جنيه يأخذه، وساعتها هقدر أحفظ الجثث لحد ما يجي زبونها، وأبيعها أغلى وفعلاً جبته وكنت ببيع أي حاجة وكل حاجة بس دي ليها مواسم بداية السنة بس، وموسم الامتحانات، وباقي السنة سوقها واقف مع إن قرشها حلو فأعطتها دخل تاني وزيادة الخير، محدش يكره الرزق.



(سيدي المتغرب)

في يوم، فتحت أنا وأمك العين عشان نفضيها، ونعمل مضامة، هي عند الستات وانا عند الرجالة.

لقيت جثة زي ما هي متحللتش خالص، كانت ناشفة كأنها حجر، وساعتها إيدي اترعشت، وجه في بالي آلف حاجة، أنا بقالي عشر سنين بدفن، وشفت كل الجثث بتتحلل، حتى الناس المشايخ والشهداء بتوع الحرب، كله بيتحلل، طلعت جري كأني لدغني عقرب، اترعبت، وطلعت أمك ورايا جري، قالت لي: إيه اللي حصل؟!

قلت لها: الراجل سليم.

نزلت معايا تاني بنتسند على بعض، ودخلنا لقيناه أنا وهي، خافت وطلعنا جري، وسيبنا التربة مفتوحة كام يوم، وقلت الهواء لما يدخل هيبدأ يتحلل، ولكن محصلش.

راحت أمك لأمها وسألتها مين ده؟

قالت لها: ده كان جاي متخشب كده يابنتي، ده راجل لقيوه مقتول في الصحراء، ومدفون في جبل الفوسفات، لما جم يفجروا

الجبل لقيوه وبعتوه لأبوك ودفنه، ومن يومها محدش فتح عليه بقاله يجي تسع سنين عشان ابوكي من يوم ما تم دفنه، وهو كل ما يمر يسمع صوت جنب القبر، كأنه حد بيتعذب، عشان كده خاف منها ومفتحهاش تاني.

أمك قالت لي: نقفلها ومنفتحهاش تاني.

قلت لها: بصي، انتِ تتشري في الدنيا كلها اللي حصل، وإن الراجل ده متحللش، وإنه باين من أهل الطريقة، وأنا هروح أقفل عليه وأدهن القبر بالأخضر، ويبقى مقام وكل اللي يجي ياخد البركة منه.

بس احنا منعرفش ده كان إيه؟

صالح ولا فاسد، نقوم نعمله ولي مرة واحدة.

هو انتِ فاكرة إن كل الأولياء دول أولياء بجد، شغلي دماغك دي شوية، ده رزق وجايلنا، نقوله لا.

ايوة، نقوله لا، دي لعنة، مش رزق.

انتِ بتعارضيني كمان.

وكان قلم واحد نزل على وشها، كفيل إنه يقنعها تعمل اللي انا عاوزه.

وفعلاً سنة ورا سنة بقى مقام كبير لسيدي المتغرب، وامك مابت أغلب الدفن ليَّ، وبقت بتغسل الستات وتدفنهم بس، وتسجل في دفاتر الحكومة لما نحتاجها، وبعد ده تقعد في المقام تسترزق من سيدي المتغرب.



(صفية)

في يوم كنت قاعد على الكنبة قدام الحوش، وجت عربية إسعاف فيها ضيفة جديدة، وكنا قرب المغرب، يعني على ما ندفن هنبقى بليل، المهم قمت وشفت الورق مكنش معاها كتير، كلهم حريم ماعدا اتنين رجالة والسواق، بس المهم قالولي هندفنها في لحد مع أمها، ومعترضتش بس مادام الموضوع حضر وكده، إتاولت معاهم على مبلغ أكبر عشان أجيب حد يساعدني، وفعلاً محدش منهم اعترض، لم يكونوا حزانا جداً، ولكنهم بدوا كأنهم بمهمة يغلب عليها التأثر والبكاء بس، وفعلاً حفرنا ورشينا ميه، وجينا ننزلها بدماغها، لقيت حية كبيرة، معرفش جت منين؟ موجودة في اللحد، طلعت جري وبستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وكل اللي حواليا جروا بعيداً، وقعد الشيخ يقرأ قرآن، وكل الناس في حالة ذهول لحد ما اختفت زي ما حصلت، قلبي انقبض من الميتة دي وراجعت ورقها تاني، هي في الأربعين من عمرها، سبب الوفاة سكتة قلبية، والجمعية اللي جايباها مضمونة، نزلت تاني اللحد عشان أدفنها، وأنا عمال أتلفت حواليا وفعلاً نزلتها بسرعة، وفكيت الأربطة، وطلعت وقبل ما أنزل عليها التراب، لقيت الحية ظهرت تاني، رجع الشيخ يقرا تاني، والكل بصرخ ويستعيذ بالله من الشيطان،

ولكن هذه المرة التفت الحية حول الجثة رافضة المغادرة، وقد قارب الفجر على البزوغ طوال الليل، كنا نحاول بلا فائدة، وجاء شيخ المسجد، وحكينا له.

فقال: أنزلوا عليها التراب، هي مخلوق يتحرك بأمر الله، لو كان شيطانًا لاحترق، وبالفعل أنزلنا عليها التراب وردمنا عليها، وأنا قلبي يرتجف من هول المشهد، فقد حاوطت الأفعى الجثة كاملة.

جلس الجميع بالحوش، فقد كانت ليلة طويلة، ولم أرد أن يغادروا قبل أن أعرف لماذا حدث ذلك؟

وأنا لم أرَ أواسمع طوال حياتي عن شيء مماثل، فانهارت أحد السيدات وجلست تعفر رأسها بالتراب، وتدعو الله وتتشاهد، كأنها تعرف الله لأول مرة.

وقالت لي: لقد كانت تعمل بتجارة المتعة للأطفال.

اي أنها كانت تأتي بالطفلة دون الخامسة عشر، وأحيانًا عشر سنين لراغبي المتعة الحرام مقابل المال، حتى أن بعضهن

كانوا يموتون أثناء المعاشرة فتلقي بهم في القمامة، وتأتي بغيرهم من الملاجئ ومن الشوارع، ونحن كنا نعمل معها ولكني تُبتُ إلى الله، ولن افعل ذلك ثانية.

اشمأززت منها، وتمنيت أن أحرقها في قبرها، بس اللي أنا شفته، منعني أقرب لهناك تاني.



(مذبحة الآثار)

لم يكن هذا اليوم كبقية الأيام أبدًا، فقد صحوت في الفجر، وأنا مقبوض القلب، وأشعر أن هناك شر قادم، وأن هذا اليوم لا يمر بخير أبدًا، كنا بالشتاء، ورغم طول ليله وسكونه وسواده الغامق، بس أنا كنت بحبه غير كل سكان المقابر، بحس إن ليله ستار زي ما بيقولوا، وأنا محتاج الستر ده أوي.

طلعت بره الحوش الفجر، استنيت الأتوبيس عشان أستلم ورديتي الساعة ستة زي كل يوم، وكان السما لونها رمادي، وشكلها هتمطر كتير، دخلت أجيب الجاكت، وطلعت لقيت قدامي بني آدم، آه بس شبه إبليس، وشه مينذرش بخير أبدًا، فقلت أعوذ بالله، انت مين يا عم؟

وإيه اللي موقفك هنا كده؟

قالي: أنت عم عادل التربي؟

قلت له: أيوه يا سيدي عاوز إيه؟

أنا من طرف حسونة التمرجي.

أهلاً، خير إن شاء الله، ولو إني مش حاسس إنه خير أبدًا.

ليه بتقول كده، ده حتى حسونة قالي إنك بشوش وبتحب المصلحة يعني؟

ما هو عشان انت من طرف حسونة ده، أنا مش حاسس إنك جايب خير، بس وماله نسمع.

هدي خلقك بس واسمعني.

يا عم، أنا هادي، عاوز إيه بقى؟

احنا عاوزين ندفن سبع حتت، وزي ما بيدفع حسونة وأكتر كمان.

سبعة، يخرب بيتكم، ليه شغالين في مسلخ؟

يا عم، احنا ملناش في شغل حسونة وبيع الأعضاء والحاجات دي، احنا ناس تجار، ودي حادثة وقضاء وقدر، ولازم الموضوع يتلم.

أما هي حادثة مدفنتوهمش رسمي ليه؟

ياعم عادل، دول عيال غلابة من الصعيد الجواني أوي، لا نعرف لهم أصل من فصل، كانوا بيعملوا لينا مصلحة كده، وانهدت الأرضية عليهم وماتوا تحتها، ولازم نطلعهم ندفنهم.

ارضية إيه؟

المقبرة.

مقبرة إيه يا عم، أنت تربي؟

لا يا عم عادل، أنا شيخ، وكنا بنحفر تحت بيت واحد معرفة كده، تحت بيتة آثار، أنا جاي معاك صريح عشان متخافش مني، والأرضية بتاعة البيت وقعت على العيال، وزي ما قلت لك ماتوا.

طب أما هما اندفنوا تحتها، ما تسيبوهم، عاوز تدفنهم هنا ليه؟

لأننا لازم نكمل حفر، دي مقبرة ملك كبير، ولو انفتحت، فيها كنوز كتير، هنقفلها عليهم برضه؟!

طيب إيه المطلوب مني دلوقتي؟

تدفنهم.

حسونة عارف شروطي.

كلها مجابة إلا شرط واحد، نقلهم من هناك.

ليه بقى؟

عشان حسونة عنده عربية إسعاف بتاعة المستشفى بيجيبهم فيها، إنما أنا أجيبهم إزاي؟؟ وبعدين دول سبعة صعب نقلهم مرة واحدة.

ما تخلي حسونة ينقلهم لك بالإسعاف.

دي مصلحة بعيد عن الدكتور. وبعدين لو جبتهم على كذا مرة، دخول الإسعاف كتير، ويعدوا على الكمين اللي أول الطريق هيشككهم فيهم. ولو مرة واحدة ولا قدر الله اتفتش كارثة. لو جثة واحدة ماشي إنما سبعة صعب.

طب أنا هجيبهم ازاي بقى إن شاء الله؟

انت برضه أكيد ليك حبايبك ومش هتغلب، واحنا هندفع، وكله هيمشي زي الفل.

طيب أشوف واقولك اسم الكريم إيه؟؟

مفتاح الشيخ مفتاح.

ده اسمك؟

لا، ده لقبي، أصل مفيش مقبرة معرفش أفتحها ولا تعصلج معايا.

حصلنا الشرف يا شيخ مفتاح.

ده شرف ليه يا عم عادل.

خلاص استناني هنا نص ساعة، أعتذر عن الوردية، واشوف حل.

مستنيك.

يا أم أيمن، اعملي للضيف شاي على ما آجي.

قالت لي: حاضر يا خويا.

ورحت يومها، وخليت زميلي ياخد ورديتي، وجبت عربية الجمعية الشرعية، واتفقت مع السواق يومها هديله ألف جنيه على الجثة، كان خايف، بس أول ما سمع كلمة الألف جنيه على الجثة، يعني سبع آلاف جنيه في ساعتين، الخوف راح، متفتكرش يا ابني إن الطمع بيعمي عن شبع، في حالتنا لا، احنا بيعمينا الطمع عشان غلابة، كل طمعنا إننا نعيش، يعني السواق ده خد الفلوس عشان يقدر يعيش ويوسع شوية على عياله، مش عشان يقفل العمارة بتاعته، عشان كده بنخاطر، ورحت لمفتاح ده في الحوش عندي، وخدته ورحنا كلنا على الجيزة، بيت بالطوب الأبيض على وش الأرض وسط أرض مزروعة، لما تشوفه تقول ده بيت من آلاف البيوت اللي مالية منطقة الهرم ونزلة السمان، دخلنا لقينا راجل كبير قاعد على الأرض جنبه بوتجاز صغير غاز وعدة شاي، كوبيات على صينية وبرطمانات صغيرة، مفتاح قالي: استنانا جنب الحج عشان نشوف الطريق ونأمن، ليكون حد شافنا.

قعدنا جنب الراجل، وبدأ يعملنا الشاي، وباخده منه قالي:
انت التربي صح؟

قلت له: أيوه يا حاج، أنا.

اسمك إيه؟

اسمي عادل.

طيب بص يا عادل يا ابني، عاوز منك طلب.

أؤمرني يا حاج.

الأمر لله، أمسك دول وعدهم كام.

طلع فلوس عشرات وعشرينات من جيبه كتير.

قلت له: حاضر.

عديتهم، لقيتهم ألفين جنيه، قلت له.

قالي: عاوزك تشتري بيهم ثمانية أكفان.

ليه يا حاج، ده مفتاح قالي سبعة بس اللي وقع عليهم السقف.

عارف يا ابني، الكفن التامن ليّ أنا.

بعد الشر عنك يا حاج.

ده مش شر يا ابني، ده حق، وانا هاجي جنب اللي تحت. إيه دول يا بني أكبرهم قد أصغر أحفادي، متعرفش يا عادل يا ابني، أنا قلبي مولع نار إزاي عليهم، منه لله مفتاح هو اللي غوى بنتي وأقنعها بسكة الآثار دي، طول عمري عايش هنا بشوف الأهرامات كل يوم الصبح والظهر، وانا بشتغل في أرضي وعمري ما فكرت إن تحت بيتي آثار ولا حاجة لحد ما بدأوا الجيران كلهم، كل واحد يحفر تحت بيته وساب أرضه وزراعته وباع اللي حيلته وأداه للمشايخ ده، حتى المواشي اللي بيعيشوا منها باعوها عشان هيلاقوا دهب وتماثيل، ورثهم من جدودهم الفراعنة وهيبقوا أغنياء ويبنوا قصور، ويركبوا عربيات، ويطيروا في السما، ويسيبوا الأرض والفلاحة والشقا زي اللي لقيوا قبلهم، ده في ناس اتجننت، واللي ماتت من الحسرة، ضيعوا كل حاجة،

لا منهم حافظوا على القليل اللي معاهم، ولا منهم لقيوا الكتير اللي بيحلموا بيه، وجه مفتاح واقنع نجاة بنتي، أنا كنت رافض، بس ولا كاني موجود، وجاب الشباب دول وخلاهم حفروا هنا، أنا مكنتش موافق بس مش قادر أقول لا، خلاص جسمي ضعف والمرض هدني، وبنتي خرجت عن طوعي، ياريتني كنت قادر، كنت حوشت عنهم، العيال دول دخلوا قلبي، وكانوا يقعدوا جنبي طول الليل ناكل ونشرب ونهزر ويشلوني، بقالهم معايا عشر ايام بس كانهم عمر، عيال غلابة جدعان راحوا في ثانية، هقعد انا أعمل إيه بس، بأمنك أمانة تجيب ليهم أحسن كفن، وحنة، ومسك، دول عرسان رايحين الجنة، زينهم أحسن زينة.

كلام الراجل وإحساس الحسرة اللي جواه، قطع قلبي، وقلت له: خد فلوسك يا حاج، وأنا هعمل الواجب.

قالي: والله ما تحصل أبدًا، وبعدين أنا هسترهم، يمكن ربنا يسترني، وأنا هسيب الفلوس لمين؟ محدش يستاهلها زيهم.

خليهم ليك يا حاج، يمكن تحتاج علاج ولا حاجة.

يا ابني، أنا هروح معاهم، مفيش علاج هيأخرني.

انا عشت عمري كله هنا، وعاوز أتدفن هنا على راس الأرض، أنا قلت لنجاة، ونفسي تمعل بالوصية عشان مفارقش أرضي.

شربت الشاي، وأنا مش عارف أقوله إيه؟ داريت نفسي ورا دخان الشاي منه.

وشوية، ودخلت بنته، وماسكها مفتاح في إيده، وأثر العياط باين على وشها، ولكن عينيها بتقول إن عياطها خوف على نفسها، مش حزن على الموتى.

قالت لي علطول: هتاخد قد إيه وقت في تطليمهم، لازم تطلعهم النهارده.

قلت لها: خدي نفسك، وقدمي المشيئة.

بصت لي، وكأن كلامي مش عاجبها، ونقلت نظري لأبوها وتجاهلت وجودها.

مفتاح خاف لأعند معاهم، قام قايلي معلش يا عم عادل، أصلها خايفة، والوضع كله غريب عليها، مهما كان برضه دي ست مش زينا، قلبها ضعيف.

قلت له: مفيش حاجة، يلا عشان نشوف حالنا واللي ورانا
على قبل الليل ما يدخل علينا.

قالي: تعالى ورايا.

فتح بابًا صغيرًا، ودخل وأنا والسواق وراه، رفع لوح خشب
في الأرض، وكانت الأرضية كلها مهدمة والتراب مالي المكان.

قلت له: واحنا هننزل إزاي؟ كده مش أمان.

قالي: لا، أطمن، أنا اللي هنزل ارفعلك الجثة، وأنتوا
تسحبوا من فوق، أنا دارس الحفرة تحت وهعرف أدوس فين.

ونزل مفتاح، وبدأ يرفع واحد ورا التاني، وفعلاً كانوا
عرسان، أكبر شاب فيهم ما يجيش ١٨ سنة، وانا والسواق
نسحبهم لحد ما طلعناهم السبعة على أرضية البيت فوق بعض،
وسمعنا صرخة شديدة وبعدها صوت مكتوم، جري مفتاح على
بره والرعب والخوف أتملك مننا، كانت الست نجاة دي بتصرخ،
واحنا قولنا الحكومة جت، وعدت الدقايق كأنها سنين واحنا
واقفين ورا الباب أدام الشباب، ومفتاح خرج يشوف فيه إيه؟!

وعمالين نتلفت حوالينا عشان نلاقي مكان نهرب منه، لقيت مفتاح جاي، وماسك الست حاضنها جامد وقافل بوقها في صدره، وبيقول مفيش حاجة يا جماعة، ده الحاج نعيشوا انتم.

اتنفسنا بعد ما كان عرقنا بل الهدوم واحنا في عز الشتا، وخدت نفسي وقلت: سبحان الله، كان عارف.

السواق جاب العربية أدام الباب، وحملنا الصبع جثث، وقلت لها: أنا هاخد الحاج معايا الجمعية الشرعية اغسله وأكفنه وأجيبه تاني.

مفتاح قالي: ليه؟ ما تسيبه؟ وبعدين نشوف هنعمل إيه معاه؟ الدنيا برد ومش هيحصل حاجة لو سيبناه لبكرة.

قلت له: لا، هو وصاني قبل ما يموت، وأنا هعمل بالوصية.

مفتاح قالي: وماله، حتى يبقى وجود عربية الجمعية مبرر.

بصت له وأنا قرفان منه، وقلت له: يلا.

حدلتهم وخدت الفلوس اللي اتفقنا عليها. ومشيت رحت
على الحوش الأول. نزلت الشباب وغسلتهم وكفنتهم ودفنتهم،
وقال السواق خد أبو نجاة وراح الجمعية وطلع له تصاريح
الدفن وغسلوه، ورحت أطمنت عليه، وجت بنته ومفتاح استلموه
وحدوه في العربية، ومشيوا وبالحادثة دي زودت ذنب من ذنوبي،
وقفلت دفتر اعترافاتي باعتراف جديد.




(السحر)

الكثير من الناس يملكون نفوسًا ضعيفة، ولا أنكر أنني منهم، أنا لم أسع لأذية أحد، ولكن هناك من يسعون لذلك، ولا يفكرون سوى به، جاء إليَّ يومًا ما رجلاً يركب سيارة فخمة، كنت أعتقد أنه أحد أقارب الموتى من البشوات بتوع زمان، فالمنطقة تمج بمقابرهم، ولكن نزل من سيارته وجلس بجواري دون دعوة مني، وقال مباشرة: أنا عاوزك في موضوع مهم وفيه مصلحة.

قلت له: خير يا باشا.

قالي: خير.

قلت له: ومحددش يكره الخير.

قالي: اتفقنا أنا أهل أبويا عاملين لي سحر عشان أموت.

قلت له: أعوذ بالله.

مين قالك؟

قالي: راجل طيب، بس عشان أفك السحر ده لازم أدفن

حاجة صغيرة كده في الترب، وانت سيد العارفين والوحيد اللي يقدر يخدمني.

قلت له: هتدفع كام؟

قالي: مش هنختلف اللي هتطلبه.

وفعلاً خدت منه العمل، ونزلت دفنته، وطلعت قبضت الفلوس، لما تسألني تقولي: مخوفتش تضر حد؟

هقولك: وأنا مالي اللي آزاه يستحمل نتيجة أزاه، وبعدين انا مكنتش بصدق بأي حاجة من دي، لحد ما يوم جاتلي ست كبيرة، وقالت لي: بنتها ملبوسة من جني، والمشايخ قالوا إن العمل مدفون في الترب ولازم نطلعه.

طب قالك مدفون فين؟

لا ، مقدرش يحدد.

طب وإيه الحل؟

لازم نحط ورقة في الترب برضه.

هندفنيها يعني؟

لا، هحطها في فم ميت.

إزاي يا ست أنتِ؟

أنتِ اتجننتي؟

اسمع بس.

مستحيل أحط حاجة، أنتِ مبتخافيش ربنا؟

بخافه، بس بنتي حالها يصعب على الكافر، مشلولة وبتموت قدامي.

بص يا عم عادل، أنا هديك اللي أنت عاوزه.

إنسي يا ستي.

طب افتحلي التربة وأنا أحط الورقة أنا.

لا يا ستي.

هديك ألفين جنيه في دقيقة، افتح الباب وسيبني.

خلاص ماشي، أنتِ اللي هتشيلي الذنب، أنا مالي.

ربنا بيسامح، بنتي بتموت.

طب يا ستي هتنزلي إمتى؟

بكره هاجي أنا والشيخ وبنتي وهنزل، وهما هيفضلوا بره.

ماشي.

تاني يوم جاتلي ومعاها بنتها، أول ما شوفتها صعبت عليّ، وشها أصفر كأن فارقه الدم والحياة، ومش بتتحرك نهائي إلا رمش عينيها، وباين عليهم الخوف، ورابطين إيديها ورجليها في الكرسي، وفمها بإيشارب،

لما سألتهم رابطينها ليه؟

قالولي: الجن حس باللي بنعمله، وطول الطريق كان بيعذبها

وبتصرخ وتتشنج، عاوزه تنزل من العربية فالشيخ كتفها لا تؤذي نفسها.

وفعلاً، فتحت للست التربة، ونورت لها السلم بالكلوب، لحد ما بدأت تنزل، ولفت وبصت لبنتها، وكل حب الدنيا في عينيها، وزي ما تكون بتطمنها إن هانت.

ونزلت وفتحت فم الميت، وحطت الورقة وطلعت بسرعة، وكان باقي ليها سلمتين، حسينا إن زي ما تكون صابتها رصاصة في ظهرها ووقعت جوة، نزلنا جري أنا والشيخ نجيبها، لقينها متشنجة زي ما تكون انشلت، الغريبة إن البنت خفت، واتحركت، وأول ما طلعنا كان على وش الأم نظرة رضا غريبة، والبنت بتصرخ.

فكها الشيخ، قامت جري، واتبدل الحال، وبقت الأم هي اللي مشلولة، والبنت خفت.

شيلناها على الحوش عندي، قعد الشيخ يقرا، ويطبطب عليها، وبنتها تقولها ليه كده؟

أنتِ عملتي كده ليه؟

وانا مش فاهم حاجة.

سالت الشيخ.

قالي: الناس دي عندهم بيت صغير، كان طمعان فيه ناس مؤذيين أوي، دول وافقوا يبيعوا، بس التانيين عرضوا تراب الفلوس، فرفضوا، قامت الست عاملة عمل للبنت عند شيخ نجس، عملوا بالنجاسة ودفنوه بالترب، وبالفعل من يومها البنت لبسها جن شديد، بيشد منها الحياة، والست احتارت، ولما جت لي، كان الحل الوحيد، أفك السحر بنفس الطريقة، بس أنا قلت للست إنه ممكن يلبسها هي، لو هي اللي حطت العمل في فم الميت، ولازم راجل يحطه غيري عشان أكون موجود للحماية، لما أنت رفضت وهما ملهمش حد، وافقت تحطه هي عشان خاطر بنتها.

لو كانت قالت لي، كنت..........

قاطعني قالي: مكنتش هترضى.

صح.

طب إيه الحل دلوقتي، هنسيبها كده.

ليها ربنا، الشفا من عنده.

بصيت للست، لقيت لونها أصفر، وكانها بتفارق الحياة، بس على وشها ابتسامة.

وبنتها بتعيط.

وفضل الحال كده لحد ما مشيوا ومشفتهمش تاني.

وكان بيجيلي ستات كتير أوي، اللي عاوزه تدفن عمل، واللي عاوزه تخطي على ميت عشان تفك سحر معمولها، وكنت بقبل أوبرفض على حسب اللي هتدفعه الواحدة فيهم، وساعات كانت بتيجي الست من دول ومعاها الست بتاعة الزار، ويدبحوا الفراخ والخرفان، وبعد ما يفرقوها نفتح باب التربة، وننزلها فيها لحد ما يغمى عليها، ويفوقوها، وكل ده كان أغلبه أوهام بتحطها كودية الزار في دماغ الست من دول عشان تاخد منها قرشين لو معاها ومبسوطة، ولو فقيرة تبقى الطلبات أقل.

وتحفر في الصخر عشان تجيبها، وكل دي كانت أوهام، وكمان كان فيه شيخ يجيب الست من دول لما تروحله وتقوله بشوف أموات ولا مخنوقة، وتدخل دماعه، يقوم يجرها على الترب هنا بحجة إن ليها عمل مدفون، وينام معاها في الترب عشان يفكه

الأول كنت بخاف أوي من الحاجات دي، ولكن لما التُربيّة قالولي ده عادي، وكلنا بنعمل كده، أومال هنعيش منين؟

اللي ليه ميت بينساه بعد كام شهر، هنعمل إيه؟

هناكلهم، أدينا بنبيع اللي نقدر عليه، والباقي وبنستغل المكان، وده أحسن مكان بعيد عن الحكومة؛ لأن الكل بيخاف من الترب، حتى لو هجموا بيبقوا مكشوفين، والستات تصوت وتقول داسوا على الميتين، وساعتها بيخافوا ويتوهوا في وسط الترب، واحنا بنبقى عارفين مسالكها، فمحدش بيقدر يمسك علينا حاجة، وبعدين اللي هيتحاسب هما، احنا مالنا يعني هيجرالنا إيه؟

أدينا عايشين وسط الميتين أحياء وأموات.

ومن ساعتها بقيت أؤجر الاحواش البعيدة للي عاوز ساعة. اللهم، المهم هيدفع كام، بس عمري ما جبت حد عند أملك، ولا عندك عشان منزلش من نظركم، وافضل طول عمري بهيبتي. املك كانت عارفة بيع الجثث، بس متقدرش تتكلم، ما أبوها كان بيبيع، والمقام برضه كانت عارفة بيه، إنما غير كده مكانتش تعرف حاجة تانية.

وفي يوم نزلت واحدة من بتوع الزار متفرقة دم للتربة عشان العمل المدفون يتفك، بس يومها حصلت مصيبة كبيرة، الست كانت حلوة أوي، وانت عارف الترب مسكونة بالعفاريت، ومنهم ملوك للجن، محدش يقدر عليهم، ولا ينفع الهزار معاهم، ولا نصب كودية الزار، الست نزلت من هنا، وقعدت تصرخ وتقول: نار نار.

فتحت التربة، لقيت النار محوطاها من كل جنب كأنها جهنم، بس هي واقفة في النص، ولا اتلسعت، شديناها بسرعة وجينا نقفل الترب معرفناش من كتر النار، سيبناها وهربنا كلنا، وكان زي ما قلت لك في حوش بعيد عننا، وقلنا نهرب، بس الست اترمت مننا جنب التربة، وزي ما تكون اتمسمرت في

الأرض، وتقلت كأنها ألف طن، محدش قدر يحركها، ولما بصيت في وشها، لقيت عليه خيال تاني لمخلوق تاني بيظهر مكان وشها، عرفت علطول اللي حصل، الست اتلبست بدل ما كانت جاية تفك عمل لبسها جني شديد، وهربت كودية الزار واللي معاها، وسابولي المصيبة دي، رحت جري للشيخ حسان بتاع الجامع، وجه معايا وقالي: مش هتبطلوا بقى أفعالكم دي، حرام عليكم أذيتوا الموتى والأحياء، ذنبها إيه المسكينة دي دلوقتي، وبعدين النار دي أنا مقدرش أطفيها، وقعد يقرأ لحد ما الست اتحركت.

وركبتها عربية، وقلت له يوصلها أي حتة، المهم ميرجعش بيها هنا تاني، واديته فلوس كتير عشان كأنه لا شاف ولا سمع.

وقعدت النار والعة في الحوش سبع أيام بلياليهم، وطفت لوحدها بعد ما غلبنا، نطفي بمية وردم ولا في فايدة، حتى المطافي فشلت تطفيها حتى، وجت القنوات سجلت والجرايد، ما هما كده الناس يحبوا يحشروا نفسهم في كل حاجة، وجابوا مشايخ كبيرة تقرأ وتحضر، ولا في فايدة، والنار زي ما ولعت زي ما طفيت لوحدها، وبعدها بيومين جاتلي كودية الزار.

وسألتها: إيه اللي حصل المرة دي يا وش النحس؟

قالت لي: وأنا أعرف منين؟ انت عارف إني لا بعرف أسحر ولا احضر جن ولا عفريت، ولا أعرف اصرفهم، ده أنا بخاف من خيالي، ما أنت عارف كل حاجة.

أنا بقالي سنين حافظة كلمتين عن أمي وستي، وهما هما اللي بقولهم عشان أخد من الواحدة من دول قرشين ولا حتتين دهب اقلب بيهم رزقي لما اوهمهم إن دي طلبات الأسياد، وإنها مليوسة ولا ممسوسة عشان تدفع وتفك كيسها وخلاص، ده أخري معاهم.

ويومها تسيبني وتجري وتسيبلي المصيبة دي؟

وأنا كنت هعمل إيه؟! أنا لا أعرف جن، ولا أعرف أحاريهم اصلاً، بس أنا جيالك عشان لازم أختفي شوية عن الأنظار، وجيت احذرك، انت لا تعرفني ولا أعرفك.

ليه يا وش النحس، الست جرالها إيه؟

ماتت يا خويا، واهلها بيدوروا عليها.

يا نهار أسود، ماتت إزاي؟!

بيقولوا لقيوها أخر الترب، مش راضية تمشي وعيانة، والناس بقت تديها أكل وخايفين منها عشان دم الطيور اللي كان عليها، وافتكروها قاتلة حد، وقام واحد مبلغ البوليس، بعدها بأسبوع جه ياخدها بالقوة، خلصت في إيديهم هناك.

وعرفوها أهلها إزاي؟

كانت حاطة في صدرها البطاقة والفلوس، ووصلوها لأهلها، أنا أصلاً من اليوم الزفت ده مروحتش، عشان أختها كانت عارفة إنها معايا، بتعمل زار بس من ورا جوزها عشان كده هربت، قلت أكيد هتقوله.

وهتروحي فين؟

هختفي في الصعيد، هناك هسترزق برضه.

بس هناك مبيهزروش، لو عملتي عملة تانية زي دي، هتروحي فيها، ولا مين هينفعك.

لا يا أخويا ما هو أصلاً هناك مفيش أحواش زي هنا،

الله بيدفن في لحد، يعني مش هعمل زار في الترب، هعمل في البيوت، وهترزق برضه.

خلاص سافري، أرض الله واسعة، بس مترجميش هنا تاني، انا خلاص حرمت، ربنا بس يعديها على خير.

ومن يومها مكررتش زار في الترب تاني.

لو حد حب بدفن له العمل ويمشي، واي حاجة تانية كنت باجر لهم أحواش فاضية إلا للمشايخ اللي كنت أعرفهم وأعرف إنهم أقوياء، ولو حصل حاجة يقدروا يتصرفوا، وكنت بشترط عليهم لو حصل أي حاجة، هقفل التربة عليه، ويتصرف هو مع الموتى والعفاريت، والناس اللي معاه.



(حودة)

حودة هو المساعد بتاعي، أنا ربيته من ساعة ما لقيته حتة

ممة حمراء، ملفوف في كيس مخدة، ومرمي في الترب بيمبط،

انا معدي بالليل، لقيته جنب تربة، وساعتها خدته ورحت بيه

لأمك، وصراحة هي عاملته زي ابنها بالظبط، وبالذات إنه

مالها بعد ما أنت مشيت ورحت عند هناء، وكنا عارفين إنه

أكيد ابن حرام، أمه ولدته ورمته جنب الترب عشان تخلص

منه ومن فضيحتها، أوجايز أبوه رماه، المهم إنه طلع من غير

اهل، ولا عمر حد رجع ولا سأل عليه، ولما جيت أدخله الكتاب

مكانش بيرضى يروح، وكان بيهرب منها، ويرجع الترب يقعد في

اي حوش، كانت ساعات أمك تقولي: أنا حاسة إنه عفريت مش

بني آدم، الواد مش بيخاف من الترب خالص زيه زي العيال.

ولما كبر شويه قلت له: أنت بتشوفهم يا حودة؟

قالي: طول عمري بشوفهم وبكلمهم، وبحس إنهم أحن عليّ

من أهلي اللي رموني، أنا مبخفش منهم يا عم عادل؛ لأن في

بني آدمين مرعبين أكتر من الميتين.

وعاش معايا زي ظلي أكتر من محمد أخويا وأي حد، كانت

كل أسراري معاه، وزي ما يكون الأصل غالب في كل حاجة، الواد حودة كان مجرم بطبعه، قاسي، بيحب الغلط وبيفتح صدره، وصحيح يا ابني اللي معندوش حاجة يخسرها خاف منه، حتى لما حبيت أجوزه، قالي: لا. أنا بحب الحرام.

قلت له: يا واد عيب.

قالي: وإن طلع العيب من أهل العيب، أنا ابن حرام أصلاً.

كنت ساعات بندم إني صارحته، لقيته إزاي؟ وأقول كنت قلت له إن أهله ماتوا، ولا أي حاجة، بس أنا مقدرتش أعمله ورق، ولا نفسي طاوعتني أكتبه باسمي، وزي ما يكون معرفته بأصله خلاه كاره للناس والدنيا، وبينتقم منها، لكن هو شال لي الجميل، ولو حبيت ممكن تعتبره زي أخوك، هتعرفه أول ما تشوفه، هتعرفه هو شبه النخلة، طويل ونحيف وعينيه مالهاش قرار، ووشه دايمًا أصفر زي ما يكون مبيشوفش النعمة، وصوته عالي، بس مخلص لأبعد حد.



(قطع غيار البني آدمين)

في يوم جالي حودة وهو بيتلفت وراه كده زي ما يكون خايف إن حد يكون وراه، قلت له: في إيه يا واد؟

مالك بتتلفت كده زي ما يكون خايف من حاجة، مين وراك؟

قالي: جايب مصلحة فلوسها حلوة أوي، بس خطرة أوي برضه.

قول بسرعه هي فزورة؟

حسونة التمرجي اللي بيدي للعيال البيسة بالليل، شغال بعد الظهر في عيادة دكتور جراح كبير.

واحنا مالنا، إيه المصلحة؟

هقولك.

ما تقول، أنا هتحايل عليك، خلص لأخلص عليك.

يا معلم، اسمع بس، هحكيلك من غير ما تتعصب، الدكتور اللي حسونة شغال معاه، كان بينقل كلية لواحد. حصلت مشكلة

للمتبرع والراجل مات في إيده وهو بياخد الكلية، قضاء الله، هنعمل إيه؟

طب وإيه المطلوب مننا يعني؟

نروح ناخد الراجل نغسله وندفنه.

طيب إيه المشكلة؟ خليهم يودوه الجمعية، وأنا أروح لهم، هو الحوش بتاعهم تبعنا يعني؟

يودوه فين يا عم عادل، الراجل مالوش تصريح دفن ولا شهادة وفاة.

نعم.

أومال بقولك مصلحة كبيرة ليه، احنا هناخد الراجل من العيادة، نغسله هنا في الحوش وندفنه، ولا من شاف ولا من دري.

دي جريمة يا ابن الأبالسة، نروح فيها في داهية.

يا معلم عادل، لا داهية ولا حاجة دول عشرة آلاف جنيه ظهر نص ساعة، ومحدش هياخد باله. الترب تربنا والحوش بتاعنا، وكلها كام يوم وياخد دوره. يا ياخده تلميذ من زباين كلية الطب. يا نسيبه ينشف ويروح لمعمل الكيف. يعني العملية كلها منافع.

طيب أما هو مات موتة ربنا، أهله مش هياخدوه ليه؟

اتطمن، مالوش أهل. ولا حد هيسال عنه اصلاً. ده عيل من عيال الشوارع، ومالوش أهل.

أنت اللي بتقول كده يا حودة؟

يا معلم، أنا لو أبويا عرفته هبيعه زي ما أنا اتبعت، المهم دول عشرة آلاف جنيه، إيه رأيك؟

أنت إبليس. فين العيادة دي؟

جنبنا، نص ساعة بالعربية.

لا، أنا مش هروح أجيبه، خلي حسونة يجيبه زي ما يجيبه، وأنا هستلمه على باب الحوش، والفلوس مقدم قبل الميت.

ماشي يا معلم، هروح أقول لحسونة، وارجعلك.

غاب يجي ربع ساعة، وجه يتلفت برضه، وقالي: خلاص كلها نص ساعة والأمانتين هيجوا في عربية إسعاف لحد باب الحوش زي ما قولت.

خلاص أدينا مستنين، وفعلاً فات يجي نص ساعة ولقيت الإسعاف جت ودخلت لحد الحوش، وسلمني حسونة الفلوس والجثة ومشي مع العربية، وقالي هرجعلك بالليل يا عم عادل عشان أطمن.

قلت له: تطمن على إيه يا واد أنت؟ ما خلاص من دلوقتي خلصت.

وخدنا الجثة، ودخلنا جوه وحطيناها على الترابيزه، وبعت الواد حودة يجيب الكفن، وكان الميت ملفوف في ملايه، وتحتها مشمع كبير بتاع العمليات ده، ولما فتحت الملاية والكيس، لقيت الواد مشقوق نصين، ومفيش في بطنه حاجة إلا مصارينه حتى قلبه مش موجود، ناديت على حودة وقلت له: شوف يا ابن الأبالسة، دي كانت عملية نقل كلى، بس ده الواد فاضي من جوة.

قالي: احنا مالنا، هو احنا واخدينه بالوزن، ما هو كده كده مات، وكان هياكلها الدود.

قلت له: أنت شيطان زي ما بتقول عليك خالتك أم أيمن.

خالتي أم أيمن طيبة، متعرفش إن الشيطان بيقولي يا بابا، وقعد يضحك.

غسلنا الواد ودفناه، وبالليل فضلت منتظر حسونة لما جه وقلت له: انتوا عملتوا إيه في الواد ده؟

ياعم عادل، دول مالهومش أهل، ولا ليهم لازمة في الحياة أصلاً، دول قطع غيار بني آدمين.

قلت له: يا سلام.

أومال ياعم عادل لسه العلماء مقدروش يعملوا أعضاء صناعية، يعني نسيب الناس تموت؟!

ودول مش ناس يا حسونة، ولا الناس هما اللي معاهم فلوس بس هما اللي ناس؟

ياعم عادل، اللي معاه فلوس وعنده أهل ليه لازمة، إنما دول عالة على البلد والمجتمع، والموت ليهم راحة، وبعدين احنا مقصدناش بموت، هو اللي عمره خلص.

أنت هتكدب عليَّ يا واد، أنا غسلته ولاقيته فاضي، حتى قلبه خدتوه هيعيش إزاي؟؟ بالقدرة.

ما كلنا عايشين بالقدرة يا عم عادل، وبعدين احنا لما لاقيناه مات خلاص خدنا المفيد بدل ما نسيبه للدود، ده يسوى دهب، الكلية الواحدة بتتباع بخمسين ألف جنيه، وبعدين ده حتى احنا سيبنا عينيه مخدنهاش.

وأنتوا بتاخدوا العين كمان يا أبالسة؟

كل حاجة وليها سعرها، وبعدين يا عم عادل أنت عمرك دفنت ميت وخدت عشر آلاف جنيه، ده أنت حتى لو بعت الجثة ولا عملت بيها كيف، عمرها ما هتجيب السعر ده، وكمان سيبنالك الجثة تستنفع بيها زي ما أنت عاوز.

على رأيك، أنا مش أحسن منكم، كلنا قتلى.

بقولك إيه يا عم عادل، الدكتور النهاردة كان مبسوط أوي إن الموضوع خلص بسهولة، والميت ده كسبه بتاع مائتين ألف جنيه.

ورمالي عشرة المفتري.

لا، هو قالي لو عندك استعداد، كل مدة كده لما يجمع الطلبات ويلاقي متبرع يعمل العملية، ولو لا قدر الله مات العيان تاني، نبمتهولك والمصلحة تعم على الكل.

يعني ياخده يفضيه ويرميلي عشرة آلاف جنيه.

لا، قالي هيديلك خمسة وعشرين في الجثة الواحدة، دي مصلحة حلوة والخير هيعم على الكل، إيه رأيك؟

وماله، ونغير النشاط ونكتب على الحوش عادل صالح تاجر قطع غيار بني آدمين.

وتعالت ضحكاتنا وسط الدخان الأزرق، وبالفعل تكرر هذا الأمر عدة مرات حتى قبض على الطبيب وحسونة، ومرت عليّ عدة أيام قلقان تيجي رجلي في التحقيقات، بس ربنا ستر

والدكتور طلع بمساعدة المحامين بتوعه، بس قرر يسيب البلد بعد الفضيحة، كل البرامج جابت الحادثة والجرايد كتبت، وأنا قريت كل حرف، وسمعت البرامج وعرفت إنه كان بيقنع أولاد الشوارع إنه هيحلل لهم عشان يشغلهم، واللي كان بيلاقيه مناسب وصحته حلوة كان بيخدره ويعمله العملية، بس بعد ما يجمع عليه مشاركات؛ لأن لازم يبقى فصيلة الدم مناسبة، وبيعملوا مائة تحليل عشان يشوفوا الجسم هيقبل العضو ولا لاء، وساعات كان بيحتفظ بيهم مدة، ويهتم بيهم فيتامينات وأكل وشرب زي اللي بيسمن دبيحة عشان يدبحها، ولما يكمل العدد يدبح ويوزع، اللي عاوز قلب ياخد، واللي عاوز كلى ياخد، واللي عاوز قرنية، والكبير بقى الكبد بيتباع بالفص، يعني ممكن يبيعه لكام واحد، والعضو الواحد أقل سعر ليه خمسين ألف جنيه، وساعات كان بيبيعهم لبلاد بره، يسفر العيل من دول أي بلد، وهما يشوفوه هنالك، ياخدوا أعضاءه ويرموه في البحر، ولا يحرقوه، ما هو خلاص معدش ليه لازمة عندهم، وطبعًا بنفوذه طلع زي الشعرة من العجينة من غير حتى ما يتسجن يوم واحد عشان العيال دي ماليه الشوارع، وملهاش أهل يسألوا عليهم، ولا حد هيدور، ده حتى دور الأيتام بتبيعهم سواء لناس تربيهم

سره ولا قطع غيار بني آدمين، مش فارقة، المهم إن التجار دول
يطلموا منها بفلوسهم، زي الدكتور الكبير، أما بقى الواد حسونة
رموه في مصحة حكومي للإدمان، أصله كان مدمن للبيسة، وكان
بياخدها حقن، فلما اتقبض عليه، واتمنعت عنه، مخه اتلوس،
واضطروا يودوه المصحة، ومعرفتش حاجة عنه بعدها.





(شيطان الإنس)

في يوم كنت قاعد في المغسلة، وجه ميت، كان ميت في حادثة على الطريق، وكنت بشيل هم موتى الحوادث؛ لأن ساعات بتبقى حالتهم صعبة أوي، وساعات مبنقدرش حتى نلم الجثة في الكفن من كتر ما هي متقطعة، والأول مكنتش بوافق أبداً، لا أغسلهم ولا أدفنهم، بس من كتر ما الناس بقت بتموت في الحوادث، لو رفضت أشتغل معاهم مش هشتغل، وكتر الحزن علم البكاء، ومبقتش بخاف منهم، بس فضلت وقت كبير أوي أرفض موتى الحروق، مكنتش بقدر أغسلهم نهائي، إزاي أحط عليهم الميه وأغسلهم وهما جلدهم دايب من الحروق، بس اليوم ده كان الميت حادثة عربية عادية، بس الناس جايين فرحانين وهما شايلين الميت مش حتى باين عليهم الحزن، ومحدش من أهله جاي معاه، مفيش إلا شوية ظباط، بس شكلهم كبار أوي، ودخل الميت لقينه في حالة مشفتهاش قبل كده، أسياخ الحديد راشقة في كل جسمه، داخله من رقبته وطالعه من ظهره بشكل بشع، حتى أنا مقدرتش أبص له، والغريبة إن الأسياخ دي مخلياه مقرفص، قلت لهم: ده هنغسله إزاي؟ لازم نشيل الحديد.

قالي المساعد: مينفعش، الراجل قرب يتنفخ، ولو خلعنا الحديد ده هينزف من كل حتة، ويمكن يتفجر، هنغسله وندفنه إزاي؟

طلعت للبهوات اللي بره، وقلت لهم على الحالة اللي احنا فيها هنعمل إيه؟

قالي الظابط: اتصرف، دي شغلتك، بس لازم تخلص علطول عشان نلحق ندفن مفيش وقت.

دخلت للمساعد وقلت له: غسله زي ما هو كده.

وفعلاً غسلناه زي ما هو، وكفناه، وطلعت للظابط وقلت له: احنا اضطرينا نغسله ونكفنه بأسياخ الحديد المزروعة فيه دي.

قالي: خلاص مش مهم.

يلا عشان ندفن، وفعلاً روحنا دفناه بالهيئة دي حتى لما قالي حودة نشيل الأسياخ بعد ما نفك الكفن ودلوقتي مش مهم يجراله إيه؟؟

قلت له: فكرة برضه، يلا ساعدني، وفعلاً حاولنا نشيل الأسياخ بس كانت مزروعة في عضمه، ومقدرناش نطلعها، حاولنا كتير لحد ما تعبنا، والأخر سيبناه على حاله، والظباط مشيوا حتى من غير ما ينتظروا نطلع من تحت، ولما طلعت

لهنهم سايبين الفلوس بتاعة الدفن والإكرامية مع عسكري كبير في السن بس رتبته صغيرة صول في البوليس.

ولما سألته: مين الراجل ده وفين أهله؟

باين إن قرايبه دول مهمين أوي، أومال ليه دفنتوه كده؟

قالي: دول مش قرايبه، ولا طايقينه أصلاً، دول بيقضوا واجب بس.

سألته: ليه؟ عمل لهم إيه؟

قول ما عملش إيه؟!

ياه، ده راجل وحش أوي كده، يلا اذكروا محاسن موتاكم.

ده مكنش ليه حسنات البعيد.

لا كده الموضوع كبير يا شاويشنا، نبعت نجيب الشاي، واحكيلي.

بعت حودة يجيب الشاي.

وقلت له: احكي بقى مين ده؟

قالي يومها: ده الشيطان اللي في الأرض، أكتر بني آدم مؤذي عرفته البلد دي، مفيش بيت ما انكواش بناره، كان بيخاف منه العيل في بطن أمه.

يا سلام للدرجة دي؟

أكتر، ده كان رتبة كبيرة، بس كان مفتري أوي، كان بيعذب الناس في المعتقلات لدرجة إنهم كانوا بيتمنوا الموت ألف مرة، رحمة من العذاب اللي كانوا بيشوفوه، بدع طرق تعذيب ميتخيلهاش بشر، كان زي ما يكون شيطان مش بني آدم، كان لو بص لوزير كان بيترعش من كتر خوفه، ليكون عمل حاجة زعلته، ولو عجبته واحدة وحطها في دماغه، يا تيجي راكعة يا هي وعيلتها كلها تتشرد وتدمر، ولو حب ممكن يطلقها من جوزها ويتجوزها ولا يصاحبها، كان أقل حاجة عنده أن يطلق الكلاب على البني آدمين لحد ما الكلاب السعرانة بتوعه تاكلهم، ويقعد يستمتع بسماع صوت صريخهم ويطفي السجاير في دمهم، ويقوم مستمتع.

- أعوذ بالله، ده مش إنسان.

أنت بتقول فيها كل اللي حواليه، كانوا بيقولوا الشيطان معه، والشيطان راح.

مفيش بيت اتحبس له واحد في معتقلاته إلا ومرت عليه سنين محدش يعرف طريق، وممكن يموت فمحدش يعرف طريقه تاني، ويا ويله اللي يسأل أوصوته يعلى يروح وراه.

وأتاري الناس قرفانة منه، محدش جه معاه؟

ولا حد حزين عليه؟

حزين مين يا عم عادل، دول جايين يتأكدوا إنهم ممكن يعيشوا من غير ما يفضلوا متهددين منه، وبعدين هيحزنوا على مين؟ كل الناس اللي كانت هنا، دي جاية تتأكد إنه مات، أكيد عشان يفارق كوابيسهم.

يا ساتر، كويس إننا أهل المقابر منعرفش اللي بيحصل بره في الدنيا دي، ولا حد اتأذي بأذاه.

ده أنتم كدة في رحمة، واحنا كمان اترحمنا من أداه، من عشر سنين لما ساب المنصب، واتحاكم، واترمى في السجن، من فضل الكبار برضه خايفين منه.

ليه بقى مش كان مسجون؟

أصله كان ماسك على الكل حاجات، وكان جوه السجن بس بيحرك الدنيا زي ما هو عاوز، ووقت ما هو عاوز، كان بيفرش لنفسه عشان يطلع تاني، ويصفي الحسابات، ويمكن يرجع لمنصبه، وده اللي خلي الكل مبينمش من الخوف من رجوعه.

بس ربك أراد لما كان مسافر يفسح نفسه قبل ما يرجعلهم، ويبدأ يساومهم، ويهدد الكل، مات الموتة البشعة دي.

يلا، عمل خير.

تعرف يا عادل، الراجل ده قعدنا أربع ساعات نقطع في العربية لحد ما طلعناه منها، كانت أسياخ الحديد راشقة فيه وربطاه بالكراسي.

عشان كده، كانت جاية الجثة منفوخة.

لو كان في إيدينا كنا رميناه لكلاب السكة، بس احنا أحسن منه.

كل واحد بيعمل بأصله يا شاويشنا، بس تحمدوا ربنا إنه ريح واستريح.

على رايك، يلا، أسيبك بقى سلام.

وبعدها جه ناس قرايبه معاهم ميت تاني، وكان أغرب طلب طلبوه متدفنوش مع الشيطان مش هيؤذيه دنيا وآخرة، ودفنته في غرفة تانية، وقلت له: الله يخيبك، حتى أقرب الناس ليك، أذيتهم، ودفنت الراجل وهو اندفن لوحده حتى يومنا ده.



(سامحيني)

في يوم صحيت من النوم على صريخ أمك وعمالة تلطم وتشق في هدومها، ولما جريت اشوف فيه إيه، عرفت إن أخوها الصغير فضل مات فجأة في حادثة، وهو بيعدي الطريق الصبح، وهو رايح شغله، وطبعًا خدتها ورحنا بيت أهلها، والناس اللي جيرانا كلهم اتجمعوا، وغسلنا الميت وطلعنا تصريح الدفن، وجهزنا الجنازة وطلعنا بيه، وفجأة يا ابني واحنا ماشيين بالنعش غير وشه، بدل للتربة لشارع تاني، نعدل النعش مفيش فايدة، هو مصمم، وده احنا عارفينه يا ابني، كتير كنا بنسمع ونشوف أنعاش طايرة، وأنعاش مش راضية تمشي وكارهة تدخل القبر، وساعتها قعدنا نقول لا إله إلا الله عشان الميت يهدى ويمشي، مفيش فايدة، اضطرينا نلف بيه زي ما هو عايز، مشينا لحد بيت شحاتة التربي اللي كان معانا في الجنازة، بس بنت شحاتة كانت متجوزة فضل الميت، بس في يوم من كام شهر اتخانقوا، وفضل ضرب زينب مراته ضربًا شديدًا، وزقها فوقعت على الباجور الغاز، فحرق وشها، وبعد ما خفت وعرف إن عينها راحت، طردها من البيت وطلقها بحجة إنه بيقرف من وشها المشوه ده مع إنه كان السبب، ورجعت زينب لبيت أبوها، وعاشت فيه وحيدة بعد ما اتقبت، بس طبعًا محدش رضي يتجوزها، ولا يتقدم لها أصلاً، كان الكل بيخاف منها، والعيال بيطلعوا

وراهـا ويحدفوهـا بالطـوب، ويقولـوا عفريتـة، فلبسـت النقـاب، وقعـدت في بيـت أبوهـا. واتجـوز فضـل بعدهـا بكام يـوم وعمـل فرح كبيـر وحتـى مراعاش ظروفهـا، ولمـا عملنـا قعـدة رجالـة وانحكم عليـه بدفعلها خمسـة آلاف جنيـه تعويض، وتاخـد عفشـها، رماهـم لهـا علـى الترابيـزة وهـو باصـص في الناحيـة التانيـة، وقالهـم مش قلـت لكـم: بقـرف أشـوفها، جايـة ليـه يـا عفريتـة، خـدي الفلـوس وغـوري في داهيـة، ومـن سـاعتها زينـب مفارقتش بيـت أبوهـا، بس لمـا عـرف الشـحات إن فضـل مـات، حضـر وعمـل الواجـب برضـه لأنهـم ولاد أصـول.

ولمـا صمـم نعـش فضـل يـروح عنـد بيـت الشـحات، ووقـف رفض يتحـرك نهائـي، واحنـا عمالـين نقـول لا إلـه إلا الله، طلعـت زينـب وأمهـا، وأول مـا طلعـت، فضـل تقل بقـى زي المصيبـة، فنزلنـاه مـن علـى كتافنـا، وقلنالهـا: سـامحيه يـا زينـب.

قالت: لا، ودخلت.

مقدرنـاش نحركـه مـن مكانـه، دخـل أبوهـا والكبـار بتـوع التـرب، وبعـد شـوية خرجـت زينـب تانـي وهـي بتعيـط، وقالـت: مسـامحاك يـا فضـل، مسـمحاك، تـلات مـرات.

وساعتها جينا نشيل النعش اتشال بسهولة، والستات قعدت تزغرط، واحنا نوحد ربنا لحد ما دفناه.

وقعدت زينب على قبره تلات ليالي تبكي عليه، عرفت إن ربنا رجعلها حقها، وبعدها اختفت في بيت أبوها تاني.



(محمد أخويا)

محمد أخويا الصغير كان دايمًا أبويا بيقول عليه إنه ابني مش ابنه، ومع ذلك طلع نسخة من أبويا اشتغل تربي بنفس راضية وسعادة من صغره، وكان بيحب شغلته دي وراضي بالرزق القليل اللي بيجي منها، وكان دايمًا يفتخر ويقولي احنا أحسن الناس، الشغلانة دي بتخرج الدنيا من قلبي يوم بعد يوم لحد ما كانوا بيقولوا عليه الشيخ محمد، كان دايمًا على وضوء وطاهر، ويقعد يدفن ويدعي بالساعة للميت كأنه حد من أهله، سبحان الله مكنتش شبهي خالص، عمره ما عمل حاجة غلط لحد يومنا ده، وقاطعني عشان أفعالي، ومع ذلك من يوم ما اتحبست وهو بيجيلي كل زيارة، ويقولي: بدعيلك كل صلاة ربنا يغفر لك ذنوبك.

أقوله: ادعيلي ربنا يفك أسري، أنت دعاك مستجاب.

يقولي: فك الأسر مش مشكلة، المهم تقابل ربنا نضيف.

اقرأ قرآن يا عادل، وادعي ربنا، نضف نفسك قبل ما يجي يوم ماتملكش فيه من أمرك شيء.

عشان كده أنا فكرت أكتب لك كل اللي عملته في دنيتي

غلط قبل الصبح، عاوزك تعرف، وعاوز الناس تعرف. عاوز أنضف نفسي، وأنزل عني همومي وذنوبي. عاوز أقابل ربي نضيف، يمكن يغفر لي كل اللي عملته النهاردة. بس وأنا قريب من الموت بدأت أؤمن إن في عذاب وعقاب، طول عمري مجاور للموت وعايش فيه بس مكنتش مؤمن بالحساب والجنة والنار. كنت بقول دايمًا إن مفيش غير الدنيا، وبعدها كله بياكله الدود ويبقى تراب، هيتعذب إزاي؟! ما الجسم خلاص فني، والروح خرجت والله أعلم بيها، حتى الشهداء شفت الدود بياكلهم، والأرض بتفنيهم، إزاي ساعتها أؤمن بعذاب وجنة ونار، عارف إن اللي بقولهولك ده يخليك تقول إن أبويا كان راجل كافر.

بس لا يا ابني، أنا مش كافر إن بني آدم عاش الموت من يوم ما اتولد لحد ما بقت الدنيا كل همه، ومطلعتش مني زي محمد أخويا، العكس دي أنا فضلت عمري كله طمعان أعيشها بالطول والعرض.

انساني يا ابني، اعتبرني عبرة، إنما عمك محمد واللي زيه من التربية النضاف دول هما الأصل، وأنا الشاذ من القاعدة.

عـاوزك يـا أيمـن تفتخـر بعمـك، ده سـندك وعـكازك لـو احتجتـه، والحتـة البيضـة في سـواد أيامـي.

أنـا أه سيبتلك فلوس كتيـر، بس سـيرة وحشـة هتموت بموتـي وهتفضل مهنة التربي لحـد مـا تقوم القيامة.

بالحلو فيها والوحش.



(الجن)

قريت وبحثت كتير عن الجن والعفاريت؛ لأني كنت متأكد من وجودهم. كلنا بنحس بيهم بينا وكان لازم أحصن نفسي ملهم، وأنا عارف إنهم خلق ربنا زينا، وأقدر أقولك إن جن المقابر هم صنف من أخطر أنواع الجن لأنهم من الصنف المؤذي من الجن. وهم بيعتمدوا على الفزع والخوف الشديد اللي بيصيب الإنسان علشان يلبسه أويضربه أوعمل أي ضرر تاني في جسمه ونفسه.

من المعروف أنه في حالة مرور الإنسان في المقابر هو حالة الخوف والرهبة اللي بتتملك الإنسان لأنه بطبعه بيخاف من الموت ومن الأسرار والحكايات اللي بتحوط المقابر وسكانها، فما بالك بالمرور بين المقابر وخاصة في الليل ومن غير تحصين نفسك أوإنك تبقى لوحدك، فالخوف والرهبة بتمسك قلب الإنسان من هول الموقف ومن كثرة الخوف من الأموات والأشباح، ففي كل لحظة يتصور اللي بيمدي في المقبرة ليلاً أن يتجسد له أحد الأموات ليكلمه أويُهَيّأ له على شكل أحد من أحبابه أوأقربائه أواصدقائه الذين يعرفهم، وخاصة إذا كان الإنسان يمر لوحده في مقبرة بعيدة عن البيوت، لكن في الأرياف مثلاً المقابر قريبة من البيوت ويتعود أهلها على وجود

المقابر بينهم والمرور بينها ليلاً أونهاراً. ولا تعود لهذه المقابر تلك الرهبة العظيمة في القلب.

أما بالنسبة للمقابر التي تنتشر في مناطق بعيدة عن أماكن السكن زي اللي احنا فيها دي بتوجد الخوف في النفس والفزع من تجسد الأموات أوالجن أونهوض الأموات من قبورهم، والمعروف إن الجن بشكل عام يتحسس حالة الخوف التي تنتاب الإنسان في أي موقف كان؛ لأن الجن لا يستطيع إخافة أوتلبس أوضرب وأذية الأشخاص الذين لا تنتابهم حالة الخوف والقلق النفسي.

إن الجن يبحث ويتحين هذه الفرصة، فرصة الخوف الشديد ليقوم بعمله المؤذي من تلبس أوضربه، وضربة الجن يا ولدي بتسيب أثر زي الجلطة في الإيد أوالرجل وغيرها من الأمور المؤذية؛ لأنه من غير حدوث هذه الحالة للإنسان لا يستطيع السيطرة عليه؛ علشان كده احنا عايشين فيها وعادي، إنما اللي بيبقى داخل خايف أصلاً هو اللي بيتأذي.

وبما إن جن المقابر زيه زي كل الجن بيحس الخوف اللي

يحس بيه الشخص لدلك يعتبر من اخطر أنواع الجن، لأن سحيته مستعد وفي حالة ضعف شديد، ولذلك أغلب الذين يصيبهم جن المقابر يصابوا بجلطات أوشلل بسيط. ودي الحالة هي الغالبة على أعراض جن المقابر، ولكن ده لا يمنع من حدوث إصابات أخرى كالتلبس أوالجنون أوالوسوسة والهلوسة ومكالمة كائنات أخرى لا يستطيع الإنسان العادي رؤيتها، وجن المقابر هم عبارة عن عشائر مكتملة بملوكها ووزرائها وأفرادها، ولكنهم يستوطنون المقابر سكنًا لهم وأكثر ما تكون أشكالهم وما يميزهم هو الوجه الشديد السواد واللباس الناصع البياض وكأنهم أشباح وهم الأكثر ما يتشكل بها جن المقابر للإنسان وأكثر ظهورهم على هذه الحالة وهذه الشاكلة

وفي بعض الأحيان الأخرى يتشكل جن المقبرة على شكل شخص معروف من قبل الشخص المار في المقبرة وأكثر أفراد عشيرة جن المقابر هم من القرناء الهائمة والتي تعرف عند العامة بالأشباح بعد رحيل أجسادها عن الدنيا، فلذلك عندما يظهرون فإنهم يظهرون على شكل إنسان متكامل؛ لأنهم يكونون نسخة طبق الأصل عنهم، ومنهم من يتشكل على هيئة قطة سوداء أوكلب أسود وأحيانا تجدينهم يمرون من أمامك

كالخيال الذي سرعان ما يختفي، ويكثر الجن أوالعفاريت حسب ترب الحوادث، فنحن سكان مدينة الموتى نعرف ده. وسمع الصرخات وأصوات الإسعاف وصرخات الهلع طوال الليل، ولكن الأشد منهم تلك الأحواش التي يسكنها المقتولين، فهؤلاء أشباح هائمة لا ترتاح فهي تتجول بالمقابر ليلاً ونهارًا، ويراها الجميع منا؛ لذلك نربي الكلاب لأنها تراهم وتشعرنا بوجودهم، وإن كنا تعودنا عليهم، ولكن هناك حالات نفزع منها كلما كانت الميتة بشعة، كلما زاد هيامهم وعنفهم أحيانًا لمهاجمتهم الناس، ولا تهدأ إلا بعد إيجاد قاتليهم، ولكنها تظل أرواحًا معذبة.

أكثرهم رعبًا تلك العائلة التي جاءت إلينا مقتولين جميعًا بطريقة وحشية في سيارتهم على الطريق الصحراوي، وكأن وحوشًا قتلتهم ولكن عند التشريح اكتشفوا أن من قتلهم ليسوا حيوانات ولكن بشر، ولكنهم عذبوهم وشرحوا حتى الطفل الصغير بلا رحمة، ولم يستدل على قاتليهم أبدًا؛ ولذلك كانت أشباحهم تطوف ليلاً، وتستمر بالصراخ، وكانت تظهر على حالتهم التي ماتوا عليها، فكانوا يظهرون مقطعين وتتساقط الدماء منهم، وتحمل الأم طفلها الرضيع مثل حالتهم وقت الحادث، وكان الجميع يراهم من سكان الأحواش، ويسمع صرخاتهم، ولكنهم

كانوا يختلفون عن غيرهم. إنهم من الأشباح المؤذية يعني لو قابلوا بني آدم لوحده، كانوا بيهاجموه مش بيمروا وخلاص، ويقعدوا يصرخوا في ودانه، ومن بعدها مش بينفع نفسه تاني علشان كده اجتمعنا كلنا في يوم، وقلنا نشوف حل؟!

جبنا المشايخ، ولا في فايدة، أصل اللي زينا المشايخ جزء من حياتهم، من غيرهم منقدرش نعيش، ولما تعبنا قُلْنا ننقلهم في حوش بعيد عن الناس أهو على الأقل نرتاح من أذاهم، ولكن عمك سليمان قال: ودول مين يقدر ينزلهم لوحده، دول مؤذيين.

فقال الكبير بتاع التُرَبِيَّة وقتها عم إسماعيل الله يرحمه: نفتحها ساعة أذان الظهر، وندخل المشايخ يقروا الأول، وبعدها ننقلهم أبعد حوش بحيث يبقى دفنهم ساعة صلاة العصر، وربك الحامي بقى، دي شغلتنا وكلنا عارفين مخاطرها، وفي مننا اللي اتلبس واللي اتمس، وأهم المشايخ هنا بس نبعت لأهاليهم بقى عشان نعمل الورق.

قاله عم أحمد: بلا أهاليهم بلا وش هيجوا يمنعونا، وبعدين إن قُلْنا شوفنا عفاريتهم، هيقولوا علينا مجانين.

فكر عم إسماعيل شوية، وقال: على البركة، يبقى ننقل من غير وش، وعمومًا هما لما هيجوا مش هينزلوا يبصوا عليهم تحت، موجودين ولا لأ.

يبقى خلاص بكرة الظهر ننقلهم، عم أحمد قال: كده أحسن، هما سايبين أمواتهم يعذبونا، ويسرعوا عيالنا، وإن اتكلمنا هيقولوا مجانين.

اتفقنا كلنا، وفعلاً كله اتوضا وقرا القرآن من كتر الخوف، ونقلناهم زي ما قال عم إسماعيل لأبعد حوش في التُرب عند الأحواش المهجورة اللي فيها يصطفوا مع بعض.

وأنا اللي نزلت، وكنت شايف طول ما أنا بشتغل الست وهي شايلة ابنها وقاعدة ساندة على الحيطة في التربة، وبتسرح لبنتها شعرها، وكل بصة منها تشقني نصين، ولما جينا نطلع الراجل طارت البلطة بتاعة حسن التربي اللي بيسلك بيها حوالين الباب، ورشقت في ظهر عم أحمد التربي، وساعتها كلنا متنا من الرعب، بس صممنا نطلعه برضه، وبالذات إن عم أحمد رغم إن البلطة كانت راشقة فيه بس منزلتش ولا

نقطة دم، وهو كان واقف حاسس بالألم موقمش حتى، ودي من افعال الأشباح والجن يا ولدي، علشان كده كملنا حفر، والشيخ حمودة قعد يقرأ على البلطة لحد ما طلعها من ظهره، ومكنش متعور ولا حتى مجروح، خربوش صغير بس كان مكان سن البلطة، ومخافش لحد ما مات، وعشان تعرف حاجة، جروح الترب عمرها ما بتطيب، لازم يفضل ليها أثر طول العمر، ولو بصيت لإيدينا كلنا تلاقيها هرب منها الدم وبقت زرقاء، وده اللي بيخلي الناس تقرف مننا وتديك الحاجة وهي رافعة إيديها خايفة إنك تلمسهم، حتى احنا منبوذين من الناس مع إن من غيرنا كان زمان جثثهم ماليا الشوارع تاكل منها الكلاب الضالة والتعالب.

ولكن هما كده البني آدمين ويمكن لو كنت منهم كنت هعامل التُرَبِيَّة نفس المعاملة.

ونقلنا العيلة الشؤم دول بره خالص، ولكن يا ويله من كان حظه وعدى من هناك بالليل، اللي اتجنن، واللي مات من كتر الخوف، أصل كان الأحواش المهجورة بتتسكن، ومع مرور الأيام جم جماعة قرايبهم زاروهم وده كان نادر أوي بالنسبة لعيلة

بحالها راحت، يا بيجي أهل الست، يا أهل الراجل يزوروهم، ولكن ضحايا حوادث القتل بيتأخروا أهلهم شوية عشان التحقيقات وكده، ولما جم قعدت معاهم قدام الحوش الفاضي اللي هما فاكرينهم مدفونين فيه، وسألت عليهم، وإن كانوا لقوا القتلة ولا لأ؟

حكت لي الست، إنهم ملاقهومش، وإن الموضوع طول، وهي فقدت الأمل.

وسألتها إن كان ابنك ولا مراته معاهم فلوس كتير أودهب فحد أذاهم؟

قالت لي: كان معاهم يا بني كتير، فلوس مالهاش عدد، ومعرفش لما كانوا في العربية كان معاهم ولا لأ؟

بس مرات ابنها بتلبس دهب كتير وألماظ، وحتى هي متعرفش كميته.

قلت لها: أنتِ مش عايشة معاهم؟

قالت لي: لا، ابني طول عمره مؤذي، كان بيضربني أنا وأبوه، وكنت دايمًا أدعيله، ومرضاش أدعي عليه، أقول ربنا يهديه

والنيش شباب لحد ما كبر واشتغل. ويشهد ربنا إنه مصرفش عليّ ولا على أبوة جنيه من يوم ما اشتغل. حتى مصاريف البيت، ولا علاجنا، وكان لسانه مؤذي، لو جيت تكلمه باللين حتى شغله مكناش نعرف طريقه. وما جمع إلا لما وفق، اتجوز واحدة شبهه حتى إن أمها يوم الفرح قالت لي: أنا بجوزها حسبي الله ونعم الوكيل فيها، عشان أخلص منها برضه.

كانت شغالة معاه في الشغل، وسبحانك يا ربي حتى بنتهم المرتين تلاتة اللي شفتها فيهم. كانت زيهم. وأصعب عيلة صغيرة بس يا ربي تتريق عليّ وأنا ماشية وتقولي: مش هتفارقينا بقى.

أصله مكنش بيجيلنا خالص. ولا بيزورنا، وأنا اللي كان قلبي بيحن أقوم أروح له، وكانوا بيعاملوني أسوا معاملة، وأحلف مروحش تاني، ولكن أسيب كام سنة، وأقول أروح أطمن عليه، واطلع من عندهم معيطة، وأحلف مروحش. آخر مرة شوفته من سنة وست شهور تتخيل دي، وانهارت في بكاء مرير.

حتى لما مات مرضيوش يدخلوني عليه التلاجة، قالولي: مش هتستحملي.

وأبوه دخل وطلع من بعدها مش حاطط منطق، الراجل وقع من طوله من اللي شافه، ومرضيش يحكيلي، بس أنا عرفته من الجرايد، كنت طول عمري خايفة وعارفة إن نهايته هتكون وحشة، كنت بسمع الناس لما تقول إنه مؤذي وبياذي الناس في أكل عيشها، بس كنت بدعي ربنا يهديه، هعمل إيه يا ابني، الأم بتدعي بلسانها وقلبها يقول بعد الشر.

ليكي ولاد غيره يا حاجة؟

لا والله يا ابني، مكنش ليه غيره وأهو راح، الحمد لله.

الله يرحمه.

ادعيله يا ابني، أنا اتبرعت بكل فلوسه للفقراء، واللي جالي وقالي كان ليه حق عنده اديتهوله، حتى من غير إثبات، ابني كان عنده كتير بس معندوش رحمة ولا إنسانية، بس لا زرعك ولا ولدك تغضب عليه، معدش من تركته إلا شقته كنت ناوية أبيعها بس الجيران بيقولوا إنها طول الليل بتخبط وترزع مع إنهم مراحوش هناك بعد موتهم، بس الله أعلم كلوا بيخاف يقرب لها، وأنا قفلتها وسيبتها لنصيبها، أنا مش هعيش قد ما عيشت.

قلت في سري يعني أذاهم دنيا وأخرة وهنا وهناك.

قالت لي: في حاجة يا ابني؟

قلت لها: ادعيله يا حاجة، وسيبتها ومشيت.



(صراخ التوابيت)

أكتر حاجة ميقدرش البني آدم يسمعها ويستوعبها هو صراخ الموتى، وكان أشد صوت في حياتي سمعته ومقدرتش اسمعه هو صراخ التوابيت، مع إن الخوف كان خلاص ساب قلبي، ومعرفش ليه طريق تاني، إنما اليوم ده مش هنساه عمري، يومها رحت عند عم جرجس تُربي الكنيسة اللي مدافنهم آخر الترب بتاعتنا، وهو راجل طيب أوي بروحله أشوف فيه طيبة أهل مصر والنوبة، عم جرجس طول عمره بيخدم في الكنيسة، ومن يوم ما دخل الترب مبيطلعش إلا للصلاة في يوم الأحد، ولما يبقى في موتي بيدفنهم، وهما غيرنا في الدفن هما بيدفنوا في توابيت بتتحط في فتحات في الحيطة كده مش بيدفنوا في تراب، وبيلبسوا الواحد كل لبسه ويحطوله الريحة اللي بيحبها، ويسرحوله شعره ويدفنوه وشه مكشوف، مش زينا بيلفوه في كفن، وتلاقيهم مشغلين بخور، والحزن مخيم على مواكب الموتى عندهم، ورجال الدين مشاركين، وعم جرجس كل مهمته يساعد في دخول التابوت ده مكانه، بس لما بيكتر عدد الموتى عن عدد الفتحات اللي في الحيطة دي بيضطر زينا يفضي عيون للوافدين الجدد، وده بيكون عن طريق أن يفضي عين ولا اتنين من التوابيت دي ويحطهم في حاجة زي العضامة عندنا،

وبيبقى التابوت مالوش لازمة ومالوش مكان، فبيفضي العضم بس ويفضل الخشب بتاع التابوت مينفعش يستخدموه تاني علشان خلاص القماش اللي فيه اتحلل فيه الميت، والخشب عفن فبيولعوا فيه، واليوم ده رحت لعم جرجس اسأل عليه، ولقيته بيفضي العضم في العضامات، وكنت أول مرة أعرف الحكاية دي، ونزل التوابيت وولع في الأولاني عادي، والتاني أول ما حطه في النار بدأ يصرخ بشكل فزعني، وعم جرجس واقف يصلي ويقوله: اهدى يا ولدي، لا تخف.

ومن شدة الصوت خفت ومشيت جري، مبقتش عارف أعمل إيه، ولا أساعد إزاي، وتاني يوم رحت أطمن على عم جرجس لقيته قاعد قدام الأحواش زي عادته مشغل بخور وماسك كوباية الشاي.

سألته: إيه اللي حصل ليلة امبارح؟

قالي: مفيش.

قلت له: إزاي، ده الصراخ والصوت فزعني وخلاني جريت، مقدرتش سامحني.

قالي: يا ولدي دي روح خايفة، بنصلي ونطمنها.

خايفة من إيه؟

ده مات من سنين هو لسه هيخاف ويحس؟

قالي: عيبك يا عادل إنك مش مؤمن إن دي أرواح غيرت شكلها، بس لسه موجودة معانا، حارسانا يا ولدي، دول بركتنا.

حارسانا إزاي يا عم جرجس، ده احنا اللي اتربطنا ليهم عشان نحرسهم ونقضي حياتنا كلها متعذبين، الاسم أحياء والفعل موتى.

ده مش عذاب يا عادل، لو تعرف إنك في نعمة، وإن ربنا اختارك ليها هترتاح.

أنت برضه يا عم جرجس بتتكلم زي أبويا، جايز ده اللي بيخليني أجيلك، بشوف فيك أبويا علشان كده بحبك.

وأنا كمان يا عادل، بحبك زي ولدي اللي مخلفتوش.

صحيح، أنت ليه اترهبنت ومتجوزتش يا عم جرجس، ما ممكن كنت تخدم الكنيسة وأنت متجوز عادي برضه.

هحكي لك يا عادل، من يوم ما وعيت على الدنيا في أسوان، وكانت أمي نوبية وأبويا من أسوان، وأنا بشوف اللي محدش غيري يشوفه، كنت مختلف عن كل العيال في بلدنا.

إزاي يعني يا عم جرجس؟

كنت حاسس إن ربنا اختارني لخدمته، وعشان كده قربني منه، كنت لما أشوف قطة أعرف إن كانت قطة عادية يعني ولا روح متلبسة فيها، ولما كنت أشوف حد كنت بعرف إن كان هيخف ولا هيموت، وقبل ما يموت حد حتى لو مش عيان كنت بشوف في عينيه الموت جاي قريب.

يا سلام، وده إزاي؟

معرفش، ولا كنت حتى أدرك أني أعبر عن ده، وعشان أبويا كان راجل متدين، كان بياخدني الدير كل ما يروح هناك، وهناك بقى كنت بحس براحة كبيرة كأني في الجنة، مش عاوز أرجع

للأبي، كان الدير في وسط الجبل، وكان فيه شجر طول السنة أخضر، وكان الرهبان هناك لا يكلوا ولا يملوا من الشغل، بس للآخر على وشهم رضا، ودايمًا الابتسامة مش مفارقاهم رغم مشقة حياتهم، ولكن اللي غير مسار حياتي كلها، في يوم كنت راجع من المدرسة بالليل، واحنا عندنا بعد المغرب الدنيا بتبقى مقطوعة ولا صريخ ابن يومين، وكنا كلنا لازم نروح قبل المغرب بيوتنا، الليل ده بتاع المطاريد والعفاريت، بس يومها قلت: أنا هروح الدير لوحدي، أنا عارف الطريق كويس، ونفسي أروح.

وعاندت نفسي، ومشيت لحد هناك، ولكن أول ما الدنيا ضلمت خفت وحسيت إني تايه ومش هعرف أوصل لوحدي في الجبل، فرجعت جري وفجأة في الطريق اللي نزلت منه لقيت قطتين كبار مقاربين للجبل في الطول بيتكلموا زي البني آدمين، معرفتش أعمل إيه، طول عمري بسمع عن النداهة والعفاريت بس عمري ما شفتهم إلا الليلة دي، وعرفت إني هالك لا محالة، وقعدت يومها على الأرض، مش قادر أقوم من مكاني، وقعدت أصلي كل الصلوات اللي حافظها، وأكررها لحد ما اختفوا من قدامي والرب حفظني، روحت ليلتها وأنا مصمم أبقى راهب، وأعيش عمري كله أعبد ربنا بس، هو الأهل والولد وكل حاجة يا ولدي.

قلت له يومها: أنت راجل طيب يا عم جرجس، بس لما تحب تحرق توابيست تاني ابقى قولي عشان ما أجيلكش.

وقعدنا نضحك لحد ما مشيت.



(بعد الثورة)

بعـد الثـورة وهـروب المجرمـين مـن السـجون، ملقـوش إلا الترب يسـتخبوا فيهـا، مـا هـي طـول عمرهـا التـرب مـأوى ولاد الليل والمجرمـين، بـس الوضـع عندنـا هنـا مختلـف في البـلاد البعيـدة، بيسـكنوا هنـاك ومحـدش بيقـدر يقـرب، بـس بيبقـوا برضـه مكشـوفين للنـاس عشـان مفيـش أحـواش زي هنـا، وعشـان كده بيسـتمينوا بالسـلاح والأسـاطير والحيوانـات حواليهـم عشـان الهيبة ومنـع أي حـد يقـرب، إنمـا هنـا همـا محتاجـين حـد يأويهـم ويخبيهـم وقـت اللـزوم، لـو ظهـروا مـن غيـر حمايـة هينكشـفوا، والنـاس اللـي سـاكنة هتعرفهـم، وعشـان كـده لفـوا علـى التُرَبيَّـة كلهـم عشـان يخبوهـم، اللـي خـاف ورفـض، واللـي قبـل، واللـي منهـم كان قـوي فهـدد التُرَبي ذات نفسـه إنـه لـو مسـكنوش عنـده هيقتلـه أويقتـل حـد مـن عيالـه، عشـان كـده أغلبهـم سـكنوا عندنـا في التـرب، بـس لأن الطبـع غـلاب وأكترهـم مجرمـين بالفطـرة، نقلوا معاهـم نشـاط جديـد للتـرب، ونـوع تانـي مـن التجـارة الحـرام مكنـاش نقـدر نفكـر فيـه قبلهـم، وكان نشـاطهم تجـارة السـلاح والدعـارة وتجـارة المخـدرات، والمخـازن موجـودة في غـرف الميتـين، مـين هيقـدر ينـزل يفتـش عندهـم، وبعديـن هيفتـش فـين ولا فـين، ده جـوا التـرب سـراديب وأبـواب محـدش يعـرف عنهـا حاجـة إلا التُرَبيَّـة أبًـا عـن جـد زينـا كـده.

وزيي زي غيري أويتهم وقعدنا سوا طول الليل في حلسات الحكايات اللي متخلصش، ولما قلت لهم: مالوش لازمة، واشتغلوا معايا واهي بترزق من المقام والدفن وبيع كام حتة.

قالولي: لا، ده رزق ميكفيش، والإيد البطالة نجسة، وكمان أيامها كانت الجثت رخصت أوي، كانت الجثة كلها بتتباع بـ٣٠٠جنيه، من يوم ما عملوا الهياكل البلاستيك دي، وشددوا على الجثث، بقت العيشة ضنك، والرزق قليل مع إن العروسة البلاستيك دي بكام الف جنيه، ما هو صحيح الدنيا دي أرخص حاجة فيها الإنسان، وبعدين الميتين كانوا ماليين الميادين، واللي عاوز كان بينزل ياخد اللي هو عاوزه، هتستغرب كلامي يا ابني بس أنا شفت وسمعت إنهم كانوا بيسرقوا الميت من دول، وياخدوا الجثة يبيعوها، والأخر يقولك ناس اتفقدت مش لاقينهم لا أحياء ولا أموات، ومنهم من كان بيقتل بني آدم متغاظ منه، ويرمي جثته في الشارع ويخلص منه، أيامها كانت أيام سودة، كانت الترب علطول مفتوحة، مش بنلحق نقفلها وكان أغلبهم شباب، وكان أهلهم في حالات صعبة، وكتير منهم كان بيوصل ابنه يوم، ويوصلوه هو اليوم اللي بعده، وكنا مبنقدرش نطلب حتى فلوس للدفنة من كتر الحزن، في بعضهم كان بيدينا

والتانـين في دنيـا تانيـة مـش مصدقيـين إن عيالهـم ماتـت أصـلاً، وكان في كثير لا معـروف لـه اسـم ولا عنـوان، ودول اتأخـروا شـوية علـى مـا جـم للدفـن، وكانـوا بقالهـم شـهور في التلاجـات، وجـم موظفـين الصحـة في يـوم بعربيـة كبيـرة فيهـا ولا تمانـين جثـة، ولمـا قلـت لهـم: مـين يقـدر يدفـن كل دول في يـوم؟ ده أنتـم تلاتـة وأنـا وحـوده اتنـين؟ إزاي خمسـة يدفنـوا كل دول؟ ومـين هيشـيلهم وينزلهـم؟

قالولـي: ملنـاش دعـوة، احنـا هننـزل الحمولـة هنـا، وأنـت اتصـرف.

وفعـلاً نزلـوا الموتـى كلهـم، وجمعـت كل تُرَبِـي رضـي يجـي ويشـارك مـن غيـر فلـوس، ومـع إن عمـك محمـد مقاطعنـي، بـس جـه هـو وكل عيالـه، وقعدنـا نرصهـم رص في الغـرف لحـد مـا اتملـت، فضلنـا طـول اليـوم ندفـن لحـد السـاعة يجـي اتناشـر بالليـل، وبعدهـا قعـدت التـرب ولا أسـبوعين تقـدر تعـدي مـن الريحـة، عمرهـا مـا حصلـت يتدفـن كل دول في مـكان واحـد كـده، وعمومًـا الريحـة دي كانـت في كل حتـة، وكان المـوت في الشـوارع وكل مـكان لدرجـة إنـي حسـيت إن مصـر كلهـا قلبـت تـرب كبيـرة،

واحنا ذات نفسنا كنا قاعدين في الترب خايفين من قلة الأمان في الدنيا، والسرقة بقت شغالة، نصحى الصبح نلاقي الأبواب بتاعة الأحواش مسروقة، اللي بقالها يجي مائة سنة وتتسرق، عشان كده أنا قررت إني استغل المساجين الهربانين في حمايتي وحماية منطقتي، وطبعًا هما ليهم طرقهم ووفرت لهم الفلوس، جابوا السلاح بسهولة كان في كل حتة واجدع حتة بألف جنيه مسدسات واللي كله موجود، المهم معاك تمنه ولا لأ، وساعتها كان في تُربي اسمه محمود مسكن واحد مسجون اسمه مصيلحي، كان ميكانيكي وظبطوه وهو بيصنع الخرطوش والمقروطة، وساعتها عمل ورشة صغيرة كده في الترب، وكان الشغل عليه موت، كانوا شغالين ليل ونهار، الكل شال الخرطوش، عمل ملايين في كام شهر، وأنا أقنعني صابر اللي كان واخد تأبيدة في بيع المخدرات وهرب إني أعمل معمل للمخدرات في الترب الله ينتقم منه، هو اللي دمرني مش قادر حتى أذكر اسمه، هكملك عشان أنا حاسس إن الوقت خلاص قرب، أنا عشت مع الموت عمري كله، وبعرف لما بيقرب، وطاوعته وعملنا المعمل وخزّنا الحشيش في حوش واحد من البشاوات، الأحواش القديمة اللي ممدش حد من أهلهم بيجي، غالبا كلهم سكنوا الحوش وخلصت سلالتهم،

وحفرت جوه الترب باب يفتح على ممر قديم كانوا بيعملوه في الترب زمان عشان كانوا بيخافوا من الحرامية فيعملوا التربة فوق إنما غرفة الدفن بعد الممر في غرفة تانية، وده حصل لما اشتهرت قصة الحرامي اللي نزل يسرق طقم الأسنان الدهب من فم الميت، وكان بيعمل كده دايمًا لكن حظه في يوم كان الميت مغمى عليه بس وافتكروه مات فدفنوه، وأول ما ده قعد يدق في فمه علشان يطلع الطقم التاني، صحي ومسك إيده. والحرامي مات من الخضة، والميت صحي تاني، دي قصة من آلاف القصص اللي بنسمعها من يوم ما اتولدنا، منعرفش صح ولا غلط، ولكن مصر كلها سمعتها ونقلتها عن بعض، ومن ساعتها الأغنياء بقوا يعملوا غرفة جوا غرفة عشان خايفين على موتاهم.

وإن كنت دايمًا بفكر هما عملوا كده عشان الحرامية، ولا هما عملوها عشان يضمنوا إن الأموات ميصحوش تاني، ولكن في كل الأحوال كتر خيرهم، أنا استفدت من ده بعد مائة سنة، وبقيت بخزن في الغرف دي البضاعة، وعملت المعمل عشان بخلطوا الحشيش الأصلي بالحنة، ويضيفوا عليه أقراص الترامادول علشان يدي مفعول أقوى للحشاشين.

(الكيف)

وزي مـا بيقولـوا طبـاخ السـم بيدوقـوا. أنـا كنـت طبـاخ للسـم ودوقتـه وبقـى مـش بيفارقنـي لا ليـل ولا نهـار مـن أول سـيجارة الاصطباحـة الصبـح لحـد سـهرة طـول الليـل مـن حجـر لحجـر. وطبعًا الرجالـة دي كانـت سـايبة بيوتهـا متقـدرش ترجـع لهـا، فبقـى كل واحـد يعرفلـه واحـدة ويثـق فيهـا يبعـت يجيبهـا، والـكل يشـارك، وكل واحـد ياخـد لـه شـوية متعـة قـد مـا يدفـع. وكانـت الحـريم دي زيهـا زي أصحابهـا متشـردين لا بيـت ولا مـأوى، مـن بيـت لبيـت ومـن سـرير لسـرير، زي مـا هـي مـن راجـل لراجـل، معندهـاش مشـكلة تعيـش فـين، المهـم تلاقـي الفلـوس والمـزاج فـين، وشـوية بشـوية لمـا لقـوا الشـغل كتيـر في التـرب والسـكن والمـزاج سـكنوا همـا كمـان، وكل واحـدة كان ليهـا صـاحب بلطجـي يحميهـا ويشـغلها ويسـكن معاهـا علشـان محـدش يقـدر يقولهـا حاجـة، وبقـوا الزبايـن مـن جـوا سـكان المقابـر ومـن بـره، اللـي جـاي معـاه مزاجـه بـس عـاوز المكان بـس، واللـي جـاي عـاوز مزاجـه مـن هنـا كلـه موجـود.

وطبعـًا قعـدات الأنـس دي مكنتـش لأهـل المقابـر بـس، بقـت ليهـم واللـي عـاوز يجـي مـن بـره مـن سـكان المناطـق اللـي حوالينـا، وفتحنـا كشـك للسـجاير والبيـرة الشـيء لـزوم الشـيء، وكلـه موجـود لحـد مـا جـه في يوم واحـد اسـمه عـلام تاجـر مخـدرات برضـه بـس

كبير، وقال ياه ده أنتوا قاعدين على كنز ومش داريين، وبترصوا بالملاليم دي، وساعتها كله تنح وفتح عنيه وفتح ودانه علشان يسمع فين الكنز ده وهنجيبه منين؟

من تحت إيديكم بترموه هنا وهنا.

متحيرناش وقلنا هو إيه؟

العضم بتاع الموتى اللي مالي الأحواش عندكم.

ما احنا بنبيعه لطلبة الطب، بس أكترهم بياخدوا الجديد، إنما القديم بيترمي في العضامات.

واللي عنده التجار اللي تشيل كله وتقدر!!

سألناه: يا ترى مين التجار دول؟

وبيستخدموه في إيه؟

الكيف ده أغلى نوع من المخدرات، الهيروين، البودرة يعني.

طب وإيه علاقة البودرة بالعظم بتاع الميتين؟

في نوع من البودرة دي بيتعمل في المعامل اسمه بيسة، وده رخيص عن الهيروين وبيدي نفس المفعول بتاع الهيروين.

وده بيتصنع إزاي؟

في معمل.

زي معمل الحشيش بتاعنا كده؟

لا، هو عاوز شوية حاجات بسيطة هجيبهالكم ونبقى جاهزين.

طب واحنا هنخلي العضم بودرة إزاي، هندقه؟

احنا هناخد الجماجم بس علشان هي اللي بتشبه لون الهيروين وهندقها دق بس مش ناعم أوي، ونخلطها ببودرة هيروين وترامادول وشوية أحماض كده، ونحطها في أكياس وبتتباع بالجرام وبتعمل أحلى دماغ وأحلى فلوس.

بس عاوزكم تنزلوا العضمات نجمعوا الجماجم عشان نبدأ علطول.

فأطلق أحدهم عبارة ساخرة: وأتاري الميتين دول دماعهم متكلفة اوي.

فضحك الجميع، ورد عليه أخر: ما هي راس من غير كيف تستاهل القطع بالسيف.

وأخذنا الدخان الأزرق إلى أحلام أخرى كبيرة. حلم المال الكثير.

ولم يخلف شيطاننا موعده كثيرًا، ففي ظرف أسبوع واحد كان المعمل جاهزًا وعملية جمع الجماجم على أشدها، وأسبوع كمان وكان كل الشمامين واقفين طوابير على الحوش وسط حراسة البلطجية بتوعي، وأنا قاعد على الكرسي أوزن الأكياس بالجرام وأبيع، لا يختلف المشهد كثيرًا عن مشاهد أفلام السينما، وعندما ينفض المولد تقسم الأرباح إلى ثلاثة أجزاء: جزء لي، وجزء للحراس، وجزء لعلام صاحب الفكرة. ومع كده كان بيع الحشيش شغال، والليالي الحمراء كمان، وكله بيعبي ويحط في حجري، ومع كل ده كنت فاكر إن الفلوس هتبقى طريقي للخروج من المقابر، بس العكس ربطتني بيها أكتر،

وبقت كل حياتي فيها بالنهار تربي وقت اللزوم، وبالليل تاجر، بدير راس مالي بأجسام البني آدمين، ومقدرش أبعد عشان لو طلعت اوسهيت يوم واحد هيستولى واحد من كل دول على مكاني، ومش هقدر أتكلم فبقيت عايش عيني في وسط راسي، إن كانت دي اسمها عيشة أصلاً. أنا كنت زيي زي الأموات اللي بدفنهم، حتى شكلي اتغير، تحس إنني مومية ماشية متحنطة في الشارع.

وبقيت عندي تلات أنواع من الأحواش لممارسة الشغل: حوش الحشيش، وده زي غرزة صغيرة كده، تدخلها تلاقي الدخان الأزرق في كل مكان، وزباينه هاديين مبيعملوش مشاكل، متعودين عليه يعني لا بيسكروا ولا بيتطوحوا، وفي حوش تاني اللي فيه الستات والخمرة والبيرة والحشيش برضه والبودرة وكل واحد ومزاجه، وده بيبقى كله مشاكل علشان كده أكتر الحراسة بتبقى عليه، وعمومًا كل بلطجي مسرح واحده بيحرسها، بس مشاكله كتير ودايمًا خناقات، وبيعوروا بعض وساعات بنوصل للموت كمان، وطبعًا كان كله بيخرس، ونشيل الميت نرميه في أي حوش وخلاص ولا من شاف ولا من دري، وغالبيتهم محدش بيبقى عارف هما كانوا فين ولا اختفوا فين، علشان كده

محدش بيجي عندنا يسال عليهم، ولو حد جه سال عليهم بنقول لا شوفنا ولا نعرف، وساعتها من خوفه بيمشي.

والحوش التالت، الشباب بتوع ضرب الحقن والبيسة، ودول أكترهم ولاد ناس مش عارفين يودوا فلوسهم فين، ودول بيجي منهم فلوس كتير أوي، بس برضه مشاكلهم كتير واغلب الأيام بعد ما بيتعاطى بيفضل مرمي كام ساعة على ما يفوق، وبعدين يمشي ومكنتش بحب إنهم يفضلوا بقولهم خدوا بضاعتكم وامشوا بعيد عشان بيبقى معاهم عربيات فخمة، وتلفت النظر، وأهاليهم هيهدوا الدنيا لو جرالهم حاجة، بس الفلوس اللي وراهم بتخلينا نستحمل، أبو قرش بيتباع ليهم بعشرة، ومش فارق معاهم.

ومرت ايامي كده، طبعًا انت متعرفش كل ده علشان لأنا بعدتك عننا، وأنت كنت فاكر إن أبوك وامك بيشتغلوا بره مصر، وطول عمري عايش كدبتي، وبجيلك الأسبوع ده في إسكندرية عند بنت عمك اللي ربنا فتح عليها واتجوزت بره المدافن من موظف، وقطعت كل علاقة تربطها بينا وبالماضي، كانت زيي بس هي ربنا حقق لها مناها يوم فرحها بقولها: انتِ رايحة عند البحر يا هناه، يا بختك.

قالت لي: ومش ناوية أرجع تاني.

وسنة ورا سنة مرت وأنت بتكبر قدامي، وبمنعك من الخروج بره الحوش، ولا مخالطة عيال الترب وحابسك فيه، بس كنت حاسس إنك بتشوف الموتى، وكان بيتأكد لي ده لما كنت بتفزع لوحدك وأنت نايم اوتصرخ فجأة، وكان قلبي بيتقطع عليك، وعشان كده كنت حابس معاك كلب عشان الحيوانات بتحس بيهم، وأول ما كان يهوهو كنت أجري عليك وأحضنك جامد زي ما أكون بحميك منهم، أنا كمان كنت بشوفهم وأنا في سنك، ومكنتش عاوزهم يتملكوا منك زي ما اتملكوا مني، ويوم ما ابن عبد الفضيل ابن التربي اتبدل بعيل من أبناء الجن ولفينا الدنيا، كنا بنبص للعيل اللي عنده ست شهور نلاقيه وش راجل كبير زي ما يكون عنده مائة سنة، ولون عينيه احمر زي كاسات الدم، كان ابن ولاد الجن، وطبعًا هتسأل نفسك أنتم تعرفوا ولاد الجن منين؟

هقولك يا بني: احنا من كتر ما عشرناهم عرفناهم وعرفونا ومرجعش تاني إلا لما جبنا شيخ مغربي وحط العيل في حلة وولع عليه النار، واحنا قلبنا مولع إزاي هيرجع ابنه

تاني. والواد كده هينحرق. وفعلاً سمعنا صرخة جامدة من جوة الحلة المتغطية. فالشيخ شالها بسرعة من على النار وفتحها، لقينا ابن عبد الفضيل تاني وقعد الشيخ كام يوم ياخد عليهم عهود ميرجعوش تاني، وحتى العيل اللي رجع منفعش نفسه تاني ومعداش شهرين ومات. علشان كده حبسك في الحوش وحراستي المستمرة ليك كانت عندي أهون من إنك تكبر ربي في وسطهم. ويومها مخلتش الشيخ المغربي مشي إلا لما عملك تحويطة شديدة تحميك، وأول ما بلغت ست سنين كان لازم أطلعك عشان تروح المدرسة، بس مرضتش أدخلك المدرسة اللي في المقابر عشان متتخلطش بأهلها. وعشان كده قدمت لك في مدرسة خاصة، واتفقت مع عكاشة السواق يوديك ويجيبك، بس برضه كنت هخبي عينك ما أنت بتشوف المقابر وأنت داخل وخارج. علشان كده قررت في يوم لأبعدك عني نهائيًا، كان على عيني بس وجودك كان معذبني أكتر، ويوم ما لقيتك خرجت وأمك بره، وبتاخد رحمة من الناس، غضبي وصل لأخره، وضربت أمك علقة كانت هتموت فيها وسط عياط أمك وندبها وإصراري، رحت لهناء بنت عمي ربنا حرمها من الخلفة، وكان العيب من جوزها، ومع إنه اتحايل عليها بسببها

نرجع لأهلها علشان ميظلمهاش، بس هي صممت تفصل معاه ومترجمش المقابر تاني، وفتحت مصنع تيركوا واستقرت في إسكندرية، ورحت لها في يوم وقلت لها تاخدك عندها، وأنا هتكفل بكل بمصاريفك.

قالت لي: عيب، ده هيبقى ابني اللي ربنا حرمني منه، وفعلاً يومها رجعت، ومع الفجر كنت واخدك ومسافر وواخد معاك كل حاجتك وورقك، وقدمتلك في المدرسة هناك وأنت عارف إزاي كانت هناء حنينة عليك، حتى بعد ما جوزها مات، فتحت لك بيتها وقلبها كأنك ابنها بالظبط، والأسبوع اللي كنت بجيه أنا وأمك نقضيه معاك بحجة إني شغال في الخليج سواق، كانت بتفتح لنا بيتها، وأنا أمنت لك مستقبلك، كل قرش كسبته حطيته باسمك في البنك، وهتلاقي رقم الحساب مع هناء.

هتقول في بالك: أمنت مستقبلي بفلوس حرام؟

هقولك: مكنتش عاوزك تتحوج لحد، ولا تعيش مجبور على عيشة كرهتها زيي، بس طلبي الوحيد إنك اللي تدفني، عارف إنها مش بتاعتك، ولا تعرف تعملها إزاي، بس أنا عاوزك توجهني للقبلة زي ما أنا وجهت أبويا.

ساعات كنت بقول ما هناء مشيت.

ياريتني كنت مشيت زيها، بس ده قدري أنا مش شيطان زي ما أنت شايفني دلوقتي، أنا إنسان غلط، كتير شاف الموت وعايشه كل لحظة لحد ما هانت عليه الدنيا والآخرة، كانت أخطائي كبيرة علشان لم أتمظ تعرف ليه يا ابني؟

العيب على مشايخنا اللي سابونا لا وعظ ولا تنبيه، والبلد اللي نبذتنا ولا كأننا بنحمل جنسيتها زي بقية الخلق، والناس اللي عاملونا زي الحيوانات كأننا عفاريت، وكانوا بيشمئزوا مننا مع إننا بني آدمين زيهم.

والحكومة اللي لقت الناس سكنت في القبور، فقالت وماله ما هم كده كده ميتين، لما طلبنا مساكن نعيش فيها عملولنا مدارس وجوامع، يعني من الآخر اثبتوا، ده مكانكم، اتحكم عليكم تعيشوا فيه ومتتطلموش منه ولا حتى على ظهركم زي كل البني آدمين، تتدفنوا مكانكم.

كان حلمنا في يوم ماسورة ميه نظيفة، وماسورة صرف صحي، قالولنا: لا منقدرش نحفر في وسط الموتى.

احترموهم ومحترموش إننا عايشين.

وده مش مبرر لأفعالنا، بس احنا غلطنا زينا زي ناس كتير عايشين بره المقابر، وبرضه بيغلطوا بره المقابر مخدرات ودعارة وتجار سلاح برضه، وناس بتبيع البني آدمين وهما على وش الدنيا مش موتى.

أنا مش شيطان ولا ملاك، أنا إنسان قرب يقابل ربنا وخايف، وأنا اللي معرفتش الخوف وأنا عايش طول عمري فيه.

والنهارده اتحاكمت على جريمتين، واتحكم عليّ بالموت، غريب أمرهم ما الموت طول عمري محاوطني، وارتكبت جرايم كتير أوي بس دول أبشعهم، كلكم حاولتوا تعرفوا أنا هنا ليه؟

وليه مش بتكلم وأبرئ نفسي؟

وأنا مش هتكلم، عارف ليه؟

لأني لو اتكلمت هحكم على ناس كتير بالموت معايا مش ذنبهم حاجة، اه ارتكبوا جريمة يومًا ما لكن التمن كان غالي أوي.

وربنا حكم عليّ أدوق نار كل جرايمي في جريمة واحدة أنا عملتها.

جايز أنت مش فاهم حاجة دلوقتي، لكن لما أحكي لك هتفهم كل حاجة.

بس عاوز منك وعد غليظ إن اللي بيني وبينك محدش هيعرفه، وإن سري هيموت معاك زي ما هيموت معايا. عارف إنه حمل تقيل برميه عليك، وبالذات إنك بتعرف كل حاجة مرة واحدة.

فجأة تعرف إن أبوك تُرَبِي، وفجأة تعرف إنه قاتل ومحكوم عليه بالإعدام، وفجأة تعرف إنه مجرم عاش عمره كله في الإجرام والحرام، وده كتير.

يمكن لو طلبت منك تسامحني مترضاش، وهيبقى من حقك، بس باعترافاتي بديك الدرع اللي تحارب بيه نفسك لو جرتك لطريقي.



(الليلة المشئومة)

ودلوقتي هحكي لك تفاصيل الليلة المشئومة اللي اتقبض علي فيها.

يومها كنت قاعد زي عادتي بالليل، دخل عليّ شاب كده مربي شعره وعاملة بتوكة، فعرفت علطول إنه زبون البيسة شكلهم بيبقى باين عليه، ولاد ناس ومتدلعين ولابس سلسلة في رقبته وانسيال وخاتم دهب وبيمضغ لبانة، قلت له: عاوز إيه؟

قالي: عشرين جرام.

قلت له: كتير، إوعى تاخدهم مرة واحدة، وضحكت.

الواد قالي: لا، معايا صاحبتي، وبالمناسبة دي عاوزين حتة على جنب كده نقعد فيها قاعدة هادية.

قلت له: وماله مائتين جنيه كمان للحتة الهادية وإزازتين بيرة من عندي هدية.

قالي: ومال، اتفضل مش كتير عليك.

راح عند العربية، وجه ومعاه البنت، كانت جميلة، عينيها سودة وشعرها أسود زي الليل، وقصيرة، وبيضاء شوية، ولابسة جيبة قصيرة لونها أسود وشراب وجزمة كعب عالي، وبلوزة بنفسجي، كان شكلها بنت ناس أوي مش زي الشمامين التانين. كانت شبه الملايكة، معرفش ليه خطفتني من أول دقيقة، وكنت حاسس نفسي مشدود ليها، وفضلت أبص عليها كل شوية وهي ماشية مع الولد ورايا، وعمالة تقوله: إيه المكان ده يا عمرو؟ أنا خايفة أوي، يلا نروح.

قالها: نروح إيه، ده أنا ما صدقت لقيتك، بقالي شهرين بحلم باللحظة دي، ودلوقتي تقوليلي نمشي، ده أنا سألت طوب الأرض لحد ما لقيت المكان ده عشان نبقي براحتنا ولوحدنا.

قالت له: خلاص بلاش تروحني، نروح نقعد في أي مكان تاني غير ده، قلبي مقبوض أوي، دي ترب هنقعد في ترب؟

المهم أكون معاكي ولو في جهنم، أنا بحبك اوي، أنتِ مش بتحبيني زي ما بحبك؟

بحبك طبعًا، ولو مكنتش بحبك كنت جيت معاك هنا؟!

وكل ده وأنا ماشي قدامهم، ودخلتهم حوش ولاد الناس، ونزلت لهم البيرة، وقلت لحوده: خلي بالك منهم لا الواد يتغابى والبت تصرخ وتفضحنا.

ومشيت وأنا قلبي متعلق بالحوش معرفش ليه؟

مفيش نص ساعة، وجه حودة زي نذير الشؤم، وقالي: إلحق يا معلم عادل، البت بتطلع في الروح.

مش قلت لك: الواد ده مش هيعدي اليوم ده على خير، أنا كنت حاسس.

جريت على الحوش، دخلت لقيتها بتطلع في الروح، وبتترعش ومتلجة.

قلت للواد: حصل إيه؟

قالي: مفيش، اديتها تشملها شمة عشان تهدى، عملت كده، أنا ماليش دعوة، وطلع جري وهرب الجبان.

وقلت لحودة: هاتلي شوية ميه بملح نسقيهم لها. يمكن ترجع وتفوق، وبسرعة راح الواد وقبل ما يرجع كانت البت ماتت بين إيديا، وأول مرة أضم ميت لحضني زي ما أكون مش مصدق إنها ماتت، كانت خسارة في الموت.

ولما جه حوده قالي: يادي الليلة الطويلة، يلا بقى يا معلم عادل، خلينا ندفنها بسرعة قبل ما الواد يرجع ولا حد يحس بينا.

قلت له: مش هيرجع، ده جبان، سابها بتموت ومشي، انزل افتح لنا حوش بعيد عشان ننزلها فيه.

قالي: طب مش هنقلبها الأول، دي لبسة شوية دهب تمام.

قلت له: طيب اخلص وهات الحاجة.

قلعها حودة دهبها، وأنا قعدت على الكنبة جنب شنطتها، فتحتها أشوف فيها إيه؟ لقيت بطاقتها وكارنية النادي، بصيت فيهم قلت أشوف اسمك إيه يا كتكوتة، بصيت فيهم وياريتني

كنت عميت قبل اللحظة دي، مش قادر أوصفلك، كانت دموعي بتنزل من غير ما اتحرك، حسيت إن رجلي اتشلت مش قادر أتحرك، وحسيت بالبرد والعرق في نفس الوقت، كان اسمها ريم سعد الجابوري.

الاسم اللي لا يمكن انساه، ابو بنتي اللي اتكتبت باسمه ريم بنت عبير اللي قعدت ألف حوالين بيتهم سنين عشان أشوفها، وبعدين نسيتها زي ما نسيت نفسي، وكل حاجه حلوة في حياتي، ريم اللي جاتني أمها وقالت هخلف منك عشان معنديش حل تاني، نفس تاريخ ميلادها، كنت حاسس إنها مختلفة، وكنت حاسس إن ربنا هينتقم مني، بس متخيلتش إنه هيكون بالشكل ده، بنتي لفت الدنيا وجاتلي وأنا اللي دخلتها الأوضة مع الولد بإيدي، وأنا اللي بيعت له المخدرات اللي معمولة من جماجم البني آدمين اللي بعتها، وتاجرت فيها، دوقت طعم القهر، وحرقة قلب الناس اللي عيالهم ماتت هنا، ورميتهم زي الكلاب تحت أوبعت جثثهم في المكان اللي بعمل فيه كل جرايمي، في نفس الحوش ده أمها حملت فيها، وفي نفس المكان قتلت بنتي

بايدي، تفتكر في انتقام اكتر من كده، اتقسم ظهري، لقيت حودة بيقلبها وبيفتشها.

قلت له: غور من وشي، حضنتها وقعدت أعيط أعيط لحد ما عجزت عيني عن الدمع، وإزاي تنزل دموع من عين ماتت.

شيلتها على صدري، وأنا حاضنها ووديتها الحوش. استحميت كأني بتطهر، وبعدين غسلتها بايدي، بنتي حبيبتي العروسة بغسلها، دخلت أمك عليَّ، قلت لها: ساعديني، أبوس إيدك.

وقفت غسلتها وكفنتها، وأنا شيلتها، شيلت حبة عيني، أه أنا مشوفتهاش عمري من يوم ما كانت عندها يجي خمس سنين، بس دي بنتي مهما كان، أه جت نتيجة غلطة، لكن كانت المرة الوحيدة اللي غلطت فيها، وكنت أسعد بني آدم، أمها وثقت فيَّ ومقرفتش مني زيها زي كل الناس، ده حتى الستات اللي كانوا بيجوا الترب وبديهم فلوس، وبحميهم وبوفر لهم السكن، كانوا بيناموا معايا وهما قرفانين مني، كنت بحس بيهم مهما حاولوا

يخبوا ده، والآخر قتلت بنتها وحطيتها في الترب بايدي، وقعدت أقرأ لها قرآن وادعيلها لحد ما أملك نزلت القبر، وخدتني فوق بالعافية، ضمتني لصدرها لأول مرة زي ما تكون كانت فاهمة من غير ما اتكلم، بس مكملتش نص ساعة ونزلت لها جري، مش قادر أسيبها لوحدها تاني، وفجأة لقيت سمير بياخدها، اتجننت.

حودة بعت له يشيل الجثة، حاولت منعه، افتكرني شارب أوعاوز فلوس أكتر، تتخيل يا ابني فاكرني عاوز سعر زيادة في بنتي، ببيعها زي عيال الناس التانية.

حاولت أبعده، زقني، قتلته، اه قتلته علشان يسيبها.

دخل الشاويش حسنين وقالي: مالك بتعيط ليه؟ أخيرًا حسيت بالذنب.

سيبني في حالي يا شاويش الله يخليك، أنا مش ناقص.

هسيبك في حالك يمكن ربنا يغفر لك، بس تعالى فيه ليك زيارة.

مش قلت لكم مش عاوز أشوف حد. خلاص معدش لارمني من الدنيا حد.

بس زي ما وصيتك يا شاويش حسنين تسلم الورق ده لابني في إيده.

ماشي يا سيدي بس المرة دي مش المحامي ولا مراتك.

أومال مين يعني اللي هيجيلي؟

ست اسمها عبير ومصممة تشوفك.

عبير، استنى أنا جاي.

طلعت من العنبر وحاسس إني بجر رجلي ورايا، مش قادر أمشي عليها، هواجهها إزاي؟

هبص في عنيها إزاي؟

دي مجتش طول المحاكمة، جاية ليه دلوقتي؟

اسندني يا شاويش حسنين الله يخليك.

مالك يا عادل؟ زي ما تكون رايح غرفة الإعدام كده ليه؟

يا راجل امسك نفسك شوية، والله دي زيارة مش تنفيذ الحكم.

الحكم اتنفذ يا شاويش ودي هي عشماوي.

ليه مين دي؟

دي أم ريم.

ريم دي اللي أنت قتلتها.

آه.

دخلت المكتب لقيتها واقفة زي ما تكون كبرت مائة سنة عن ما شفتها آخر مرة.

لابسة أسود حتى نظارتها سودة أول ما شافتني خلعتها،

لقيت عين ماتت من الحزن ومعدش فيها حياة، متكلمتش وأنا مكنتش عارف أقول إيه؟

كان نفسي أوطي على رجليها وأبوسها، وأقولها سامحيني، بس هي بدأت وضربتني الم على وشي، كان أقوى من خرق عيني، منعها الظابط تكرره.

قلت له: لا، سيبها تضربني، اضربي بس اغفري.

الغفران، بتطلب الغفران يا أسوأ خلق الله.

وخرجت ودموعها بحر على وشها، وأنا وقعت في الأرض، وفوقت لقيت نفسي في المستشفى، رفضت العلاج وقلت لهم: رجعوني زنزانتي عند أوراقي مفيش وقت، ودلوقتي أنا قاعد في زنزانتي ببدلتي الحمرة منتظر الفجر بفارغ الصبر علشان عارف إنه هيحصل الليلة، وبحمد ربنا خلصت اعترافاتي، سلام يا ابني، أنتظرك هناك في مدينة الموتى، لا تنس طلبي أن تدفنني، أتوسل إليك الآن، أسمع الخطوات قادمة نحوي، سيفتح الباب بعد لحظات.

إمضاء:

داهن الموتى الذي يوشك على الموت الآن.

وحدووووووووووووووووووووووه.



الفهرس	الصفحة



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامي

التربي

اسمي عادل وأنا أعمل تربي (دافن للموتى) أعيش بينهم وأستمع إليهم، لا تتعجبوا فللموتى أصوات وأسرار، لا تستطيع معرفتها بمجرد المرور من بينهم ولكن نحن في قبور الموتى نعرف كل الأسرار فما إن يغلق الباب علينا ليلاً حتى يبدأ العرض ...

تصميم الغلاف : أحمد الصباغ



